

هدية مجانية

أغاثا كريستي

قصص قصيرة مختارة

هيركيول بوارو
الآنسة ماربل
تومي وتوبنس
باركر باين



الأجyal
للترجمة
والنشر
AJYAL Publishers

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هدية «الأجيال»

يسرنا أن نقدّم هذه الهدية المتواضعة لقرائنا وأحبائنا ومتابعينا الكرام بمناسبة مرور ٢٠ عاماً على إطلاق الطبعة الأولى من ترجماتنا لروايات أغاثا كريستي، وبمناسبة العودة إلى النشر بعد سنوات اضطررنا فيها إلى التوقف عن نشر الروايات لأسباب قاهرة، ووفاءً وعرفاناً لقرائنا الأعزاء الذين لم يتوقفوا عن متابعتنا وسؤالنا -طوال تلك السنوات- عن موعد العودة إلى النشر.

مع إطلاق الطبعة الجديدة ووصول عدد الروايات المنشورة إلى خمسين (مع الروايات الأربع الجديدة التي تصدر لأول مرة) نجدّد وعْدنا لقرائنا الكرام بالاستمرار في ترجمة ونشر روايات أغاثا كريستي حتى نستوفيها كلها خلال السنوات القليلة القادمة بإذن الله.

مع شكرنا المتجدّد وتقديرنا العميق لما لقيناه من مُحبّينا وقرائنا الأعزاء من اهتمام ومحبة وثقة وتقدير على مرّ السنين.

مقدّمة «الأجيال»

للطبعة الأولى

التي صدرت سنة ١٩٩٩

مقدمة الناشر

لماذا هذه الطبعة؟

عندما أعلنّا -في مؤسسة الأجيال للترجمة والنشر- عن عزمنا على تقديم ترجمة جديدة لأعمال الروائية الفدّة، أغاثا كريستي، تساءل كثيرون باستغراب: لماذا تُجهدون أنفسكم وتتكلفون كثيراً من الجهد والعناء وكثيراً من المال لإعادة ترجمة هذه الروايات التي تُرجمت إلى اللغة العربية من قديم وتداولها الناس لعشرات السنين؟

ولكن الحقيقة (التي ربما بدت غريبة) أن الترجمة القديمة ذاتها هي الجواب عن هذا السؤال، إذ إن فيها من الأخطاء والنقائص ما لا يصلح معه الحال أو يستقيم بغير إعادة الترجمة وإعداد طبعة جديدة. وأول تلك النقائص (وإن بدت غير ذات أهمية للقارئ العربي ظاهراً) أن أياً من الترجمات القديمة لم تكن «شرعية» بالمعنى القانوني، أي أن الذين نفّذوها ونشروها لم يحصلوا على الإذن بطباعتها ولم يدفعوا شيئاً مقابل حقوق النشر، ومن ثمّ لم يهتموا بتجويدها أو إتقانها بقدر ما اهتموا بالربح العاجل والكسب السريع.

من هنا جاءت تلك الطبعات القديمة حافلة بالعيوب، حتى لا يكاد يصحّ لمن قرأها أن يقول إنه -فعلاً- قرأ شيئاً من كتابات أغاثا كريستي. وإليكم جملة من تلك العيوب:

(١) في الترجمة نقص واسع وحذف كثير، يكاد يذهب -في بعض الأحيان- بثلاث النص الأصلي. وما ندري ما الذي حمل المترجمين الأوائل على اقتراف هذا الخطأ المتعمّد: أهو لتقليص حجم الروايات وتوفير نفقات الطباعة على الناشر، أم لتيسير القراءة على القارئ حتى لا يملّ من قراءة رواية طويلة؟ ولكنّ مَنْ قال إن قراءة ما حذف يبعث على الملل؟ الحقيقة أن ما وقع من حذف وتقليص واختصار قد أربك القارئ إذ غيَّب عنه بعض التفاصيل المهمة، كما فوّت عليه الاستمتاع بكثير من «اللمسات الساحرة» من الأدب الفذّ لأغاثا كريستي.

(٢) في الترجمات القديمة أخطاء كثيرة لأنها -بجملتها- نتاج عمل فردي متسرع هدفه الربح العاجل كما أسلفنا، وهذه الأخطاء (وكثيرٌ منها ساذج مضحك) أفسدت استمتاع القارئ بمتابعة القصة وكانت -أحياناً- عقبةً في طريق فهمه لحبكة الأحداث وعقدة الرواية.

(٣) فضلاً عن أخطاء الترجمة، حفلت تلك الطبعات القديمة بما لا يكاد يُحصى من الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية وجاءت على غير نسقٍ في طبيعة ترجمتها وأسلوب كتابتها، حتى لتجد أن اسمي بطليّ أغاثا الشهيرين، هيركيول بوارو والكابتن هيسْتَنْغز، قد كُتبا بأشكال متنوعة وصور متباينة خلال الروايات،

وكانهما مجموعة من الأشخاص المختلفين!

(٤) أما الطباعة فمأساة لا تقلّ حجماً عن مأساة الترجمة وتكاد تنافسها في السوء والرداءة! امتلأت الروايات بالأخطاء المطبعية التي لم يحفل بتصحيحها أحد، وصُفّت أسوأ صف ثم طُبعت على أسوأ ورق. وما زال أولئك «الناشرون...» يصوّرون طبعة عن طبعة حتى صارت مقاطعٌ كاملةٌ منها مطموسةٌ مستعصيةٌ على القراءة لا تكاد تبين حروفها وألفاظها.

(٥) ثم اجتهد «الناشرون...» فوضعوا لهذه الروايات أغلفة يظنّ معها من يراها أنها ليست سوى قصص فاضحة ماجنة، فكان أن أعرض عنها كثير من الناس الذين ظنوا أن صور أغلفتها تعبّر عن محتواها، وزهد في هذا الأدب الرفيع كثيرٌ من المتأدّبين.

(٦) وأباح هؤلاء «المرجمون...» لأنفسهم أن يتدخلوا في عناوين الروايات وتبويبها وترتيبها؛ فمسخوا العناوين الأصلية واستبدلوا بها ما ظنّوه أكثر إثارة أو أدعى لجذب القراء. واعتدوا على تبويب الروايات فأدخلوا بعض فصولها في بعض، وعلى ترتيب مجموعات القصص القصيرة فبعثوا ما كان منتظماً وشتتوا ما كان مجتمعاً. كل ذلك بغير سبب واضح ولا تعليل مفهوم.

(٧) وأخيراً، كان العدوان الأكبر على أغاثة كريستي بأن نحلوها لها ما ليس -أصلاً- من كتابتها. وذلك أن الناشرين لما رأوا إقبال الناس على ما حمل اسمها قد طمعوا في مزيد من البيع ومزيد من الربح، فجاؤوا بروايات لا يُعرَف مؤلفوها فألحقوها بها ونسبوا إليها، حتى بلغ ما نُشر في السوق باسمها مئة وبضع

عشرة رواية، رغم أن كل ما كتبته من روايات بوليسية (وهي لها كتابات أخرى لم تُترجم بعدُ إلى العربية، كما سيأتي في ترجمتها الموجزة) ليست سوى ثمانين رواية لا غير!

* * *

فما الذي فعلناه نحن؟

اتصلنا بأصحاب الحقوق (ورثة المؤلفه) ف عقدنا معهم اتفاقاً ووقعنا عقداً ينصّ على الحقّ الحصري لنا بالطبعة العربية عبر العالم، ودفعنا مبلغاً كبيراً من المال مقابل هذا الاتفاق. بعد ذلك بدأنا بمشوار الترجمة الطويل الذي استغرق أكثر من عشر سنوات من العمل الشاق الدؤوب، المتعب والممتع في آنٍ معاً، ونفذنا العمل بالأسلوب التالي:

(١) الترجمة على مرحلتين: يُترجم العمل -أولاً- بالكامل، ثم يُراجع مراجعة كاملة شاملة وكأنه ترجمة جديدة يقوم بها مترجم آخر. وكلا العاملين تولاه مترجمون محترفون أصحاب خبرة وكفاية ودراية واسعة باللغتين، العربية والإنكليزية.

(٢) التحرير: وفي هذه المرحلة أُخضعت الترجمات لمراجعة كاملة دقيقة لكل نص مترجم؛ أسلوبياً ولغوياً ونحويّاً وإملائياً، مع العناية بالتفكير والترقيم (وضع العلامات من نقطة وفاصلة وسواهما). وتولّى هذا العملَ واحدٌ من أفضل المختصين في هذا المجال.

(٣) الصفّ والإخراج: وقد نُفِّذَ هذا العمل لدى أفضل

مراكز الصف، وبُذِل في الإخراج من الجهد غايته ليأتي على أفضل شكل ممكن. وكان أن وقع الاختيار على قَطْع الكتاب بالشكل الذي يجده القارئ بين يديه بعد استقراء لميول كثير من القراء وُجد فيه أن الغالبية منهم يفضلون -لِلروايات- هذا الحجم مقابل الحجم الكبير للكتب العلمية وكتب التراث.

(٤) ثم كانت المراجعة بعد المراجعة للنص النهائي المصنوف للتأكد من سلامته من أي خطأ أو سهو. كل ذلك ابتغاء الوصول إلى غاية الاتقان والحصول على أفضل عمل ممكن يطيقه الجهد البشري.

* * *

نعم، نحن لم نحقق كتباً عظيمة من كتب العلم ولم نترجم أعظم روائع الأدب العالمي، ولكن المرء مطالبٌ -إذا عمل- بأن يتقن عمله؛ تلك واحدة من وصايا الشرع. ثم إن في أدب أغاثا كريستي من الجمال والرقى ما يستحق السعي إلى مثله -إذ يُترجم- في النص المُعرَّب.

وأخيراً، فإن القارئ العربي الذي سيدفع قيمة هذه الكتب مالاً من جيبه ثم يصرف لقراءتها ساعات من وقته جديراً بالحصول على الأفضل. وهذا هو بالذات ما سعيانا إليه في نهاية المطاف. فهل وُفّقنا؟ نرجو أن نكون، وأنت -عزيزنا القارئ- خيرُ حَكَم.

الأجيال

منهجنا في التحرير

أردنا لهذه الطبعة أن تخرج متميزةً في سلامة لغتها وصحة صياغتها وقوة أسلوبها، فبذلنا في تحريرها غاية الجهد وأقصى الاهتمام، واضطررنا -في سبيل ذلك- إلى مراجعة المادة المترجمة مرةً بعد مرة، غيرَ عابئين بما نصرفه من وقت أو نبذله من طاقة، حتى وصلنا إلى ما نحسبه عملاً مقبولاً يرضى عنه القارئ ويُرضينا نحن عن أنفسنا.

وقد أحببنا أن نضع بين يدي القارئ هذه الملاحظات حول الأسلوب الذي اتبعناه في المراجعة والتحرير:

ففي اللغة: نَهَجْنَا اعتمادَ الفصاحة بلا تكلف، فاعتمدنا من الألفاظ الدائرة على ألسنة الناس ما وافق العربية، وتجنبنا كل لفظ غريب. وفي هذا المقام كرّسنا ما اعتمدته مجمع اللغة العربية ووافق عليه مما ورد في معجمه «الوسيط»، مثل «السَّلْطَة» و«الكُشْك»، ومثل قولهم: «سَرَّحَ العامل» (بمعنى أخلاه وصرفه من عمله) و«أَشْرَعَ على الكتاب» (أي وضع عليه إشارة برأيه)، ومثل هذا كثير.

وقد تنبّهنا إلى بعض المفردات مما يُخَلَطُ فيه بين المذكور

والمؤنث والمفرد والجمع، «فالمستشفى» مذكر يُؤنث خطأً، و«الحماس» بالتذكير لفظ غير موجود في اللغة، بل هي «الحماسة» بالتأنيث، والرأس مذكر لا يجوز تأنيثه (كما يشيع في الكتابات المصرية خاصة).

وكذلك تنبّهنا إلى بعض ما درج على الألسنة والأقلام من مفردات غير صحيحة، فأبدلنا بها ما صحّ وسُمِعَ عن العرب في هذا المقام، مثل قولهم: «خصيصاً» والصواب «خصوصاً»، و«جاؤوا سوياً» والصواب «جاؤوا معاً» لأن «سوياً» تعني الاستواء والعدل (كقولك: قسمت المال بينهم بالسوية)، و«المجوهرات»، وهو جمع غريب لم يُسمَع، والصحيح «الجواهر»، ومثل ذلك كثير.

وفي أسماء الشهور اخترنا كتابة الاسم العربي للشهر متبوعاً بالاسم الأعجمي بين قوسين، لأن من بلدان العرب (مع الأسف) من لا يعرف أهلها أسماء الشهور العربية، كأهل مصر وأكثر بلاد الجزيرة العربية وبلدان المغرب العربي كلها. فنكتبها بهذه الطريقة: حزيران (يونيو)، تشرين الثاني (نوفمبر)، إلخ.

وفي الإملاء: كتبنا «إذن» بالنون مطلقاً، عملت أو لم تعمل، وهو مذهب الأكثرين من أهل اللغة، وكان المبرّد يقول: "أشتهي أن أكوي يد من يكتب إذن بالألف، لأنها مثل أن ولن".

وفي بعض الألفاظ التي يجوز فيها الوصل والفصل (مثل: قلّ ما) اخترنا الوصل مطلقاً فكتبناها: «قلّما» أسوةً بأمثالها؛ فقد اتفقوا على أن يكتبوا بالوصل «مما» (من ما) و«عما» (عن ما) و«إلا» (إن لا)، ومثلها: «إنّما» و«حيثما» و«كيفما»، إلخ.

واخترنا في لفظ «مئة» كتابتها من غير ألف، وهو رأيٌ لكثير من العلماء نقله السيوطي في «معجم الهوامع» واعتمده عبد الغني الدقر في «معجم قواعد اللغة العربية»، قال: "وهو أقرب إلى الصواب". وفي عدد المئات (كثلاثمئة وخمسمئة، إلخ) اخترنا كتابتها متصلةً غير منفصلة (لا كما يفعل بعضهم فيكتبونها: ثلاث مئة وخمس مئة، إلخ).

وحرصنا -في الطبع- على أن تُثَبَّتْ همزات القطع وتُحَذَفْ همزات الوصل، وهو الصحيح في الكتابة. وحرصنا على عدم الوقوع في الخطأ الذي يقع فيه كثيرٌ من الطابعين إذ يخلطون بين الألف المقصورة والياء المتطرفة في آخر الكلمة فينقطون الاثنتين أو يجردونهما كليهما من النقط، ومثل ذلك بالنسبة للتاء المربوطة والهاء المتطرفة. وحرصنا -أيضاً- على إثبات تنوين الفتح مطلقاً، وأثبتنا تنوين الضم والكسر في كل حالة خشينا فيها الالتباس.

وكذلك أثبتنا علامات الشَّكل الأصلية (الفتحة والضمّة والكسرة والسكون) في كل حالة يُخشى فيها الالتباس، كالتفريق بين الفعل المبني للمجهول والمبني للمعلوم، وبين فعلي المضارع والأمر، والمثنى وجمع المذكر السالم في حالي النصب والجر، وغير ذلك. وحرصنا على إثبات الشَّدة -خصوصاً- في غير المواضع المدركة سليقةً، إذ هي دلالة على حرف محذوف.

أما علامات الترقيم (من نقطة وفاصلة وعلامة استفهام وغيرها)، فقد أوليناها كل عناية ممكنة، فهي -كما سمّاها بعض الأدباء- «علاماتٌ للفهم»، بها يتم المعنى ويَصُحُّ المقصود.

وَاتَّبَعْنَا فِي تَحْدِيدِ الْعَلَامَاتِ وَمَوَاضِعِهَا الْأَصُولَ الَّتِي اعْتَمَدَهَا أَهْلُ
الْبَحْثِ وَاللُّغَةِ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ زَكِي بَاشَا فِي كِتَابِهِ
الْقِيَمُ «التَّرْقِيمُ وَعَلَامَاتُهُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ» مَعَ بَعْضِ التَّصْرِيفِ بِمَا
يُؤَافِقُ الْأَصُولَ الْحَدِيثَةَ الْمُتَّبَعَةَ فِي عَالَمِ النُّشْرِ فِي هَذَا الْعَصْرِ.

وَأخِيرًا، نَظَرْنَا فِي كِتَابَةِ الْحُرُوفِ الْأَجْنَبِيَّةِ الَّتِي لَيْسَ لِأَصْوَاتِهَا
مُقَابِلٌ فِي لُغَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ، فَوَجَدْنَا الْقَوْمَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِيهَا اخْتِلَافًا كَبِيرًا.

فَأَمَّا الْبَاءُ الشَّدِيدَةُ (P) فَقَدْ كَتَبُوهَا بَاءً بِثَلَاثِ نِقَاطٍ، فَاعْتَمَدْنَا
لَهَا الْبَاءَ الْعَادِيَّةَ، إِذْ لَيْسَ مِنَ الْمَتَّبِعِ فِي الصَّفِّ وَالطَّبَاعَةِ تَوْفِيرُ بَاءٍ
مُثَلَّثَةٍ، كَمَا أَنَّ هَذَا الرَّسْمَ غَيْرُ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ وَلَا هُوَ مُعْتَمَدٌ مِنْ جِهَةٍ
عِلْمِيَّةٍ ذَاتِ شَأْنٍ كَمَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. وَكَذَلِكَ فَعَلْنَا فِي الْحَرْفِ
(V) فَكَتَبْنَاهُ فَاءً عَادِيَّةً بِنُقْطَةٍ وَاحِدَةٍ.

أَمَّا الْحَرْفُ الَّذِي أَثَارَ أَكْبَرَ اضْطِرَابٍ فَهُوَ الْحَرْفُ (G) الَّذِي
يُسَمُّونَهُ «جِيمًا مِصْرِيَّةً». فَلْأَجْلِ نَطْقِ أَهْلِ مِصْرَ الْجِيمِ بِهَذَا الصَّوْتِ
اعْتَمَدْنَا لَهُ كَثِيرُونَ صُورَةَ الْجِيمِ، وَلَكِنْ لَوْ تَأَمَّلْتَ مَخْرَجَ هَذَا الْحَرْفِ
وَمَخْرَجَ الْجِيمِ لَوَجَدْتَهُمَا مُتَبَاعِدَيْنِ تَبَاعُدًا بَيِّنًا، وَلَوْ جَدْتَ أَنَّ مَا
يُقَارِبُهُ فِي لُغَتِنَا مَخْرَجًا (فِي النُّطْقِ) هِيَ الْغَيْنُ وَالْقَافُ وَالْكَافُ.
وَقَدْ كَانَ هَذَا الصَّوْتُ يُكْتَبُ -فِيمَا نُقِلَ قَدِيمًا عَنِ الْفَارْسِيَّةِ- كَافًا
فَوْقَهَا خَطًّا، وَهِيَ صُورَةٌ لَمْ يُتَّفَقْ عَلَيْهَا فَمَاتَتْ وَانْدَثَرَتْ. وَأَهْلُ
الْخَلِيجِ يَكْتُبُونَ -الْيَوْمَ- هَذَا الصَّوْتَ قَافًا، وَيَكْتُبُهُ آخَرُونَ غَيْنًا،
وَهُوَ مَا اخْتَرْنَاهُ لَمَّا وَجَدْنَا مِنْ قُوَّةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ. وَانْظُرْ كَيْفَ كَتَبُوا
أَكْثَرَ مَا عَرَّبُوا مِنْ أَسْمَاءِ الْبُلْدَانِ كَذَلِكَ فَقَالُوا: «الْبَرْتَغَالُ» وَ«غَانَا»
و«السِّنْغَالُ» وَ«بَلْغَارِيَا» وَ«غَرِينْتِش»... وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ كَثِيرٌ.

وهكذا كتبنا اسم مؤلفة هذه القصص «أغاثا» خلافاً لما كان شائعاً من كتابتها بالجيم. واستثنينا من الكتابة بالغين فقط كلمة «إنكلترا» والنسبة إليها (إنكليز وإنكليزية) لشيوع كتابتها بالكاف بين المتعلمين وطلبة المدارس ولمناسبة المخرج، فأثبتناها بالكاف كما هي هنا.

أما أكثر ما يربك فهو كتابة الحروف الصوتية الطويلة في الأسماء الأجنبية. ففي العربية ثلاثة أصوات طويلة لا غير: الألف والواو والياء، أما في الإنكليزية فتوجد ثمانية أصوات طويلة: الألف المرققة (كما في: cat)، والألف المفخمة (كما في: car)، والألف الممالاة (كما في: care)، والواو المشبعة (كما في: boot)، والواو الممالاة المرققة (كما في: bone)، والواو الممالاة المفخمة (كما في: orange)، والياء المشبعة (كما في: me)، والياء الممالاة (كما في: urgent). وقد قربنا -في الرسم العربي- كل أنواع الألف فكتبناها ألفاً، وكل أنواع الواو فكتبناها واواً، ونوعى الياء فكتبناها ياءً، ما عدا الألف الممالاة التي اجتهدنا في كتابتها ياء (كما في Hastings)، صاحب بوارو الشهير في كثير من الروايات، كتبناه هيسْتَنْغز).

هذا ما اجتهدنا فيه وذهبنا إليه، آملين أن يكون اجتهدنا صحيحاً وأن نكون قد هُدينا فيه إلى الصواب؛ فيكون العمل الذي نقدمه إلى قرائنا سليماً صحيحاً معافى من العيوب. والله المستعان.

المحرّر

* * *

المؤلفة في سطور

تُعتبر أغاثا كريستي أعظمَ مؤلفة في التاريخ من حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من نسخ، وهي -بلا جدال- أشهر مَنْ كتب قصص الجريمة في القرن العشرين وفي سائر العصور. وقد تُرجمت رواياتها إلى معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما طُبِع منها بليونَي (ألفي مليون) نسخة!

وُلدت أغاثا كريستي في بلدة توركي بجنوب إنكلترا عام ١٨٩٠، وتوفيت عام ١٩٧٦ وعمرها نحو خمسة وثمانين عاماً. لم تذهب أغاثا قطّ إلى المدرسة، بل تلقت تعليمها في البيت على يد أمها التي دفعتها إلى الكتابة وشجعته عليها في وقت مبكر من حياتها، كما تخبرنا هي نفسها، فحينما كانت نزيلة فراشها تتعافى من مرضٍ أَلَمَّ بها سألتها أمها: "لماذا لا تكتبين قصة؟". أجابت فوراً: "لا أظن أنني قادرة على ذلك"، فقالت أمها: "بلى، تستطيعين؛ جربي وسترين".

عندئذ كتبت أغاثا كريستي أول رواية لها وعنوانها «ثلوج على الصحراء»، وهي رواية رفضها الناشر فلم تُنشر قط. أما الرواية الثانية «القضية الغامضة في ستايلز» (التي ظهر فيها بوارو

للمرة الأولى) فقد أدخلتها إلى عالم الكتابة الرحيب، وذلك حين نُشرت -أخيراً- بعدما رفضها ستة من الناشرين، وبعدها حبسها الناشر السابع في أدراجه لمدة ثمانية عشر شهراً متردداً في نشرها!



عاشت أغاثا طفولة سعيدة، إذ كانت صغرى ثلاثة أولاد لأبٍ مرحٍ مُحبٍّ للحياة وأم ذكية تحب الطموح، وقد ظلت -حتى آخر حياتها- تذكر بيتها الذي وُلدت ونشأت فيه بكثير من الشوق والحنين. ولكن هذه السعادة لم تَدُم، فقد توفي والدها وهي في الحادية عشرة مخلّفاً لأسرته مشكلات مادية لم تلبث أن أدخلت أغاثا في عالم المسؤولية في ظروف صعبة.

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى تطوعت أغاثا للعمل في أحد المستشفيات ممرضةً تساعد جرحى الحرب. وفي هذا المستشفى عملت بتحضير الأدوية وتركيبها وتعرفت إلى السموم المختلفة، وهو الأمر الذي كانت له فائدة عظيمة في كتاباتها اللاحقة عن الجرائم.

وفي تلك الفترة، في عام ١٩١٤، تزوجت طياراً شاباً اسمه آرشيالد كريستي، ولكنها انفصلت عنه عام ١٩٢٨ بعد موت والدتها بقليل. ولم تلبث أن تزوجت مرة أخرى عام ١٩٣٠ عالم الآثار الشهير السير ماكس مألوان، وهو الذي أمضت برفقته سنوات من عمرها في المشرق (في العراق وسوريا ومصر) فجاءت أحداث عدد من رواياتها لتقع في هذه البلاد، مثل: «موت فوق النيل» و«لقاء في بغداد» و«جريمة في بلاد الرافدين» و«موعد مع

الموت». وحينما سافرت على متن قطار الشرق السريع خرجت بوحدة من أشهر رواياتها: «جريمة في قطار الشرق».

تحدثت أغاثا كريستي عن نفسها فقالت: "لو سُئلت عن ميولي لأجبت بأنني أحب كل طعام جيد، وأكره الكحول وكل ما يدخل في صنعه الكحول. حاولت التدخين فوجدته بغيضاً ولم أجد ما يغريني بالتعلق به. أحب الأزهار، وأعشق البحر، وأهوى السفر ولا سيما في بلدان الشرق الأدنى. أحب المسرح وأكره الأفلام الناطقة إذ أعجز عن متابعتها، وأكره الإذاعة وضوضاءها، وأبغض المدن وازدحامها".

أما رواياتها فتتميز بدقة حَبْكُتها وترابط أحداثها ومنطقية تسلسلها، تغور فيها في أعماق النفوس البشرية محللةً كوامنها باحثَةً عن دوافعها بعبقريّة فذة وبصيرة نافذة. وهي قصص «نظيفة» بريئة من إثارة المشاعر والغرائز وليس فيها ما يُخجل أو يسوء. وقد حرصت على أن تقول لنا فيها دائماً: «لا بدّ أن ينتصر الخير»، و«الجريمة لا تفيد».



أشهر أبطالها هيركيول (هرقل) بوارو، والآنسة ماربل. أما بوارو فقد «وُلد» عام ١٩٢٠ في «القضية الغامضة في ستايلز»، ثم استمرّ بالظهور في روايات لاحقة لمدة خمس وخمسين سنة حتى «قُتل» أخيراً عام ١٩٧٥ في رواية «الستارة». وهو محقق بلجيكي وشرطي متقاعد أهمّ ما يميّزه ذكاؤه الخارق (الناتج عن «الخلايا الرمادية الصغيرة» في دماغه!) وشارباه العظيمان اللذان ليس لهما

مثيل في بريطانيا! وغالباً ما يرافقه في تحقيقاته صاحبه الشهير، الضابط المتقاعد، الكابتن هيسْتَنْغز، الذي يتميز بطبيعته الطيبة وذكائه المتواضع وحبه الكبير لبوارو.

وأما الأنسة ماربل فهي عانس عجوز ذات ذكاء بالغ وإدراك عجيب، وتتمتع بقدرة فذة على الملاحظة والتحليل وفهم عميق للنفس البشرية بحيث تكشف أسرار الجرائم مستفيدةً من شبكة واسعة من الأصدقاء والمعارف والعلاقات الاجتماعية الناجحة.

* * *

كتبت أغاثا كريستي من روايات وقصص الجريمة سبعا وستين رواية طويلة وعشرات من القصص القصيرة التي نُشرت في ثلاث عشرة مجموعة، وبذلك يكون عدد ما نُشر لها من الأعمال البوليسية ثمانين كتاباً. كما كتبت ستَّ روايات طويلة رومنسية باسم مستعار هو «ماري ويستماكوت»، وست عشرة مسرحية أشهرها «مصيصة الفئران» التي تُعتبر أطول المسرحيات عرضاً في التاريخ، إذ ما زالت تُعرض في لندن (دون انقطاع تقريباً) منذ عام ١٩٥٢.

أما سيرة حياتها التي كتبها قبيل وفاتها فقد نُشرت بعد موتها بعام واحد، وسوف نقدّم ترجمتها إلى قرائنا (مع كتاب ذكرياتها الآخر «أخبريني كيف تعيشين» الذي نشرته عام ١٩٤٦ وسردت فيه ذكرياتها عن رحلاتها مع زوجها) حيث ستكون هذه هي المرة الأولى التي يُترجم فيها هذان الكتابان إلى اللغة العربية.

* * *

اغانا كريسي

قصص قصيرة
من بطولة

هيركيول بوارو

القصص مختارة من مجموعتي

«قضايا بوارو المبكرة»

و«مغامرة كعكة العيد»

اُغَاثَا كُرِيسِي

قُضَايَا بُوَارُو الْمُبَكَّرَةِ

طُبِعَت لِلْمَرَّةِ الْأُولَى بِاللُّغَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ عَامَ ١٩٧٤

ترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون

صورة الغلاف مُستوحاة من قصة
«لغز حادثة الانتحار في بلدة ماركت بيسنغ»



للترجمة
والنشر

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لمجموعة من قصص بوارو القصيرة
التي نُشرت في مجلات متنوعة بين عام ١٩٢٣ وعام ١٩٣٦
وقد نُشرت هذه المجموعة أول مرة عام ١٩٧٤ بعنوان

Poirot's Early Cases

Copyright © Agatha Christie Ltd 1974

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الخامسة

٢٠٢٠

عشّ الزنابير

خرج جون هاريسن من المنزل ، ووقف على المصطبة الأمامية بعض الوقت ينظر إلى الحديقة أمامه. كان رجلاً ضخماً ذا وجه نحيل شديد الشحوب. كانت سيماء عادة تميل إلى الجهامة ، ولكن عندما ترقّ القسمات المتغضنة - كما هو الآن - فتصبح ابتسامة ، يصبح فيه شيءٌ ما شديد الجاذبية.

لقد أحب جون هاريسن حديقته ، ولم يسبق لها أن بدت أفضل مما تبدو عليه هذا المساء الصيفي من شهر آب ، باعثةً على الاسترخاء. لم تزل الورود المعترشة جميلة ، والبازلاء الحلوة تملأ الجو بعبقها.

صوت صرير مألوف تماماً جعل هاريسن يدير رأسه بحدة. مَنْ هو القادم من بوابة الحديقة؟ وبعد دقيقة علا وجهه تعبير الدهشة التامة ، لأن هيئة الرجل المهندم القادم عبر ممر الحديقة كانت آخر ما يتوقع رؤيته في هذا المكان من العالم.

صرخ هاريسن: هذا والله عجيب ، السيد بوارو!

وكان حقاً هيركيول بوارو الشهير الذي طبقت شهرته الآفاق.

- نعم. لقد قلت لي يوماً: "إن وجدت نفسك يوماً في هذا الجزء من العالم فتعال لزيارتي"، وقد أخذتُك بجريرة كلمتك وجئت. أجاب هاريسن بحماسة: وأنا ممتن لذلك، اجلس واشرب شيئاً.

وأشار إلى طاولة على الشرفة، فقال بوارو وهو يغرق في كرسي شبكي القاعدة: "أشكرك. لا أظن أن لديك عصير فواكه محلي؟ نعم، لا أظن ذلك. قليل من ماء الصودا إذن، لا مشروبات كحولية". ثم أضاف بصوت حساس معبر بينما كان هاريسن يضع له كأس الصودا بجانبه: خسارة.. شاربان متهدلان! والسبب هو هذا الحر.

سأله هاريسن وهو يجلس على كرسي آخر: وما الذي جاء بك إلى هذه البقعة الهادئة؟ المتعة؟

- لا يا صديقي، بل العمل.

- العمل؟! في هذا المكان النائي؟

هزّ بوارو رأسه بالإيجاب وهو متجهّم الوجه ثم قال: نعم يا صديقي، فليست كل الجرائم ترتكب بين الحشود الغفيرة كما تعلم.

ضحك هاريسن وقال: أظنها كانت ملاحظة بلهاء من طرفي. ولكن ما هي الجريمة المحددة التي تحقق فيها هنا، أم أن هذا أمر لا ينبغي لي أن أسأل عنه؟

- تستطيع أن تسأل، والحقيقة أنني أفضل أن تسأل.

نظر إليه هاريسن بفضول، فقد أحس بأنّ في أسلوب صديقه

وطريقة كلامه شيئاً غير عادي. بعدها تقدم بحديثه على نحو متردد بعض الشيء، قال: هل قلت إنك تحقق بجريمة؟ جريمة حقيقية؟

- من أكثر ما يمكن لجريمة أن تكون حقيقية.

- ماذا تعني...؟

- جريمة قتل.

نطق بوارو هاتين الكلمتين بجدية بالغة جعلت هاريسن تأخذه المفاجأة. كان بوارو يحدق إليه مباشرة، وأيضاً كان في نظره شيء غير عادي تماماً بحيث لم يعد هاريسن يعرف كيف يستمر في الحديث. ولكنه قال أخيراً: ولكنني لم أسمع بأي جريمة قتل.

- نعم، فأنت لم تكن لتسمع بها.

- ومن القتل؟

- حتى الآن، لا أحد.

- ماذا؟!!

- لذلك قلت إنك لم تكن لتسمع بها. إنني أحقق في جريمة لم تُرتكب بعد.

- اسمعني يا بوارو، هذا هراء.

- أبداً. إن كان بوسع المرء أن يحقق في جريمة قبل حدوثها، فإن هذا أفضل بكثير - بالتأكيد - من التحقيق بعد الجريمة. بل يمكن للمرء حتى أن يمنعها.

نظر هاريسن إليه ثم قال: أنت لست جاداً يا سيد بوارو.

- بلى، أنا جاد.

- أعتقد حقاً بأن جريمة قتل سُرتكَب؟ آه، هذا سخيف!

أنهى بوارو الجزء الأول من جملته دون أن يلقي بالاً لتعجب صاحبه: ما لم نستطع أن نمنعها. نعم يا صديقي، هذا ما أعنيه.

- نمنعها؟

- نعم قلت: نمنعها نحن، فسأحتاج إلى تعاونك.

- ألهذا أتيت إلى هنا؟

مرة أخرى نظر بوارو إليه، ومرة أخرى جعله ذلك الشيء غير المحدد في نظرة بوارو يضطرب ويقلق.

- جئتُ إلى هنا يا سيد هاريسن لأنني... حسناً، لأنني أحبك.

ثم أضاف بصوت مختلف كلياً: إنني أرى يا سيد هاريسن بأن لديك هناك عش زنابير. عليك أن تدمره.

تغيير الموضوع المفاجئ جعل هاريسن يقطب جبينه بطريقة تبدو فيها الحيرة. ثم تبع بعينه نظرة بوارو وقال بصوت مدعور: أنا في الحقيقة سأدمره... أو بالأحرى سيدمره الشاب لانغتن. هل تتذكر كلود لانغتن؟ كان حاضراً في نفس دعوة العشاء تلك التي قابلتك فيها. إنه قادم هنا هذه الليلة ليدمر هذا العش، وهو يبدو شغوفاً بهذا الأمر إلى حد ما.

- آه، وكيف سيدمره؟

- سيحقنه بالنفط، إلا أنه سيُحضر إبرته الحاقنة، فحجمها أكبر من حجم إبرتي.

- ألا توجد طريقة أخرى؟ باستخدام سيانيد البوتاسيوم؟

بدا وكأن هاريسن قد فوجئ قليلاً، وقال: بلى، ولكنها مادة خطيرة، ومن المجازفة الاحتفاظ بها في البيت.

هزّ بوارو رأسه موافقاً ببطء وقال: "نعم، إنه سم قاتل". تريث قليلاً وردد مرة أخرى بصوت وقور: سم قاتل.

علق هاريسن ضاحكاً: إنه مفيد إن كنت تريد «تصريف» حماتك، إيه؟

ولكن بوارو ظل جاداً، وقال: وهل أنت واثق يا سيد هاريسن بأن ما سيستخدمه السيد لانغتن في تدمير عش الزنابير هو النفط؟

- واثق تماماً، لماذا؟

- إنني أتعجب! لقد كنت عند الصيدلي في بارتشيستر عصر اليوم. وكان عليّ أن أوقع في سجل السموم مقابل دواء اشتريته، ورأيت في السجل آخر مادة وآخر توقيع. كانت المادة هي سيانيد البوتاسيوم وقد وقع أمامها كلود لانغتن.

نظر هاريسن إليه وقال: غريب!... لقد أخبرني لانغتن أمس بأنه لم يحلم أبداً باستخدام هذه المادة، والحقيقة أنه قال إنه يجب عدم بيعها لهذه الأغراض.

أرسل بوارو ناظريه إلى الحديقة. وكان صوته هادئاً جداً وهو يطرح سؤاله: هل تحب لانغتن؟

جفل هاريسن وبدا وكأن السؤال قد فاجأه على حين غفلة. قال: أنا... أنا... حسناً، بالطبع أحبه، ولماذا لا أحبه؟

قال بوارو بهدوء: كنت أتساءل فقط إن كنت تحبه.

ولمّا لم يُجِبْ هاريسن مضى بوارو قائلاً: وقد تساءلت أيضاً إن كان هو يحبك؟

- ما الذي تريد الوصول إليه يا سيد بوارو؟ في عقلك شيء؟ لا أستطيع سبر غوره.

- سأكون صريحاً معك. أنت خاطب وسوف تتزوج قريباً يا سيد هاريسن، وأنا أعرف الأنسة مولي دين. إنها فتاة جميلة جداً وفاتنة جداً، وقبل أن تكون مخطوبة لك كانت مخطوبة لكلود لانغتن، وقد تركته من أجلك.

هزّ هاريسن رأسه موافقاً، واستمر بوارو قائلاً: أنا لا أسأل عن دوافعها في ذلك، فربما تكون لها مبرراتها. ولكنني أقول لك ما يلي: ليس من المُستكثر عليك أن تفترض بأن لانغتن لم ينسَ ولم يغفر ذلك.

- أنت مخطئ يا سيد بوارو... أقسم أنك مخطئ. لقد تحلى لانغتن بروح رياضية وتقبل الأمور كرجل، وقد كان شريفاً معي إلى حدٍ مذهش وبذل كل ما بوسعه ليكود ودوداً.

- ولم يَسترع ذلك انتباهك كأمر غير عادي؟ لقد استعملت تعبير «إلى حدٍّ مدهش» ولكنك لا تبدو مدهوشاً.

- ما الذي تعنيه يا سيد بوارو؟

قال بوارو وفي صوته نبرة جديدة: أعني بأنه يمكن لرجل أن يخفي كرهه حتى يأتي الوقت المناسب.

- كرهه؟

هزّ هاريسن رأسه بالنفي وهو يضحك، ومضى بوارو قائلاً: إن الإنكليز أغبياء جداً؛ يعتقدون أنهم يستطيعون خداع الجميع وأن أحداً لا يستطيع خداعهم. هذا روحه رياضية، وهذا شاب طيب... لن يصدقوا أبداً وجود الشرّ فيه، ولأنهم شجعان -رغم غبائهم- فهم يموتون أحياناً في وقت ليسوا مضطرين للموت فيه.

قال هاريسن بصوت منخفض: إنك تحذرنني. أنا أدرك ذلك الآن... أدرك ما حيرني طوال هذا الوقت. إنك تحذرنني من كلود لانغتن. لقد جئت هنا اليوم لتحذرنني...

هزّ بوارو رأسه موافقاً، فقفز هاريسن واقفاً وقال: ولكنك أنت المجنون يا سيد بوارو. نحن نعيش في إنكلترا، والأمور لا تجري بهذا الشكل هنا، فالخاطبون الذين تركتهم خطيبتهم لا يركضون في الشوارع طاعنين الناس في ظهورهم. وأنت مخطئ بخصوص لانغتن، فذلك الشاب غير مستعد أن يؤذي ذبابة.

قال بوارو بهدوء: حياة الذباب ليست موضع اهتمامي. ورغم أنك تقول إن السيد لانغتن غير مستعد لقتل ذبابة فإنك تنسى أنه يُعدّ

العدة الآن لقتل عدة آلاف من الزنابير.

لم يُجب هاريسن على الفور. ونهض بوارو بدوره وتقدم من صديقه ووضع يده على كتفه. كان بوارو ثائراً منفِعلاً حتى إنه كاد أن يهز جسد الرجل الضخم، وبينما كان يفعل ذلك همس بأذن صديقه قائلاً: تغلب على غفلتك يا صديقي، تغلب على غفلتك. وانظر... انظر إلى حيث أشير. هناك عند الحافة، تماماً قرب جذر الشجرة. انظر إلى الزنابير وهي تعود إلى عشها هادئة في نهاية النهار. خلال ساعة قصيرة سيحل بها الدمار، وهي لا تعرف ذلك. ليس هناك من يخبرها.. ليس لديها أحدٌ مثل هيركيول بوارو. إنني أقول لك يا سيد هاريسن بأنني جئت إلى هنا في عمل، وأن جرائم القتل هي عملي، وهي عملي قبل أن تُرتكب بقدر ما هي عملي بعد ارتكابها. في أي وقت سيأتي السيد لانغتن لتدمير عش الزنابير هذا؟

- لانغتن لن...

- سألتك: في أي وقت؟

- في الساعة التاسعة. ولكنني أقول لك: إنك مخطئ تماماً. لانغتن لن يُقدم أبداً...

صاح بوارو مقاطعاً في نوبة عاطفة: يا لهؤلاء الإنكليز!

ثم أخذ قبعته وعصاه ومضى عبر الممشى، وتوقف قليلاً ليلتفت ويقول: لن أبقى لكى أتجادل معك، فلن أجنبي من ذلك إلا إثارة أعصابي، ولكن ليكن بعلمك: سأعود في الساعة التاسعة. فتح هاريسن فمه ليتكلم، ولكن بوارو لم يعطه فرصة لذلك،

إذ قال: أعرف ما ستقوله... لانغتن لن يقدم أبداً... إلخ. حسناً، أنت تقول: إن لانغتن لم يقدم أبداً! ولكنني -مع ذلك- عائد إليك في الساعة التاسعة. نعم، وسيسرني ذلك، اعتبرها هكذا: يسرني أن أشاهد تدمير عشر الزنابير. اعتبرها رياضة أخرى من رياضاتكم الإنكليزية!

لم ينتظر جواباً، بل مضى سريعاً في ممر الحديقة ثم إلى الخارج عبر البوابة التي تصدر صريراً. وما إن أصبح في الشارع حتى خفّت سرعة خطواته وتلاشت حيويته ونشاطه وأصبح وجهه قلقاً وقوراً. أخرج ساعته من جيبه ونظر إليها. كانت العقارب تشير إلى الثامنة وعشر دقائق، وتمتم قائلاً: أكثر من ثلاثة أرباع الساعة. عجباً، هل استعجلت؟

تباطأت خطواته، بل بدا وكأنه وصل إلى نقطة يكاد يعود فيها. بدا أن نذير شرٍ غامضاً يهاجمه، ولكنه طرد ذلك الهاجس عنه بتصميم واستمر في سيره باتجاه القرية. ولكن وجهه كان ما يزال قلقاً، وقد هز رأسه مرة أو مرتين صنع رجل لا يملك إلا بعض القناعة.



كانت الساعة قبل التاسعة ببضع دقائق عندما اقترب مرة أخرى من بوابة الحديقة. كان المساء صافياً ساكناً لا تكاد ترى فيه هبة نسيم تحرك أوراق الشجر. ربما كان في هذا السكون شيء ما، شيء شرير، كالهدهود الذي يسبق العاصفة.

تحركت قدما بوارو بشكل أسرع قليلاً، إذ شعر فجأة بالذعر

وعدم اليقين، كان يخاف شيئاً لا يدرك كنهه. في تلك اللحظة فُتحت بوابة الحديقة وخرج منها كلود لانغتن بسرعة إلى الشارع، وقد جفل عندما رأى بوارو وقال: آه... م... مساء الخير.

- مساء الخير يا سيد لانغتن. لقد خرجت مبكراً.

نظر لانغتن إليه وقال: لا أدري ما الذي تعنيه؟

- هل عالجت عش الزناير؟

- في الحقيقة... لا، لم أعالجه.

قال بوارو بلطف: آه، أنت لم تعالج عش الزناير. فماذا فعلت إذن؟

- جلست فقط وتحدثت قليلاً مع هاريسن العجوز. أنا مضطر حقاً للإسراع بالانصراف الآن يا سيد بوارو. لم تكن لدي فكرة بأنك في هذا الجزء من العالم.

- لديّ عمل هنا.

- آه! حسناً، ستجد هاريسن على المصطبة. أنا آسف لأنني لا أستطيع البقاء.

وأُسرع مبتعداً، فتابعه بوارو بنظراته. كان شاباً عصبي المزاج حسن الهيئة ذا فم ينم عن الضعف! تمتم بوارو قائلاً: سأجد هاريسن على المصطبة إذن؟ ترى هل سأجده؟

دخل من بوابة الحديقة، ثم عبر الممر. كان هاريسن جالساً على كرسي قرب الطاولة. جلس ساكناً، بل إنه لم يُدر رأسه عندما

اقترب منه بوارو قائلاً: آه! يا صديقي. أأنت على ما يرام؟

ساد صمت طويل، قال بعده هاريسن بصوت ذاهل: ماذا قلت؟

- قلت: هل أنت على ما يرام؟

- بخير، نعم... أنا بخير. ولماذا لا أكون كذلك؟

- ألا تشعر بأي آثار سيئة؟... هذا جيد.

- آثار سيئة؟ من ماذا؟

- من مسحوق غسول الصودا.

نهض هاريسن فجأة وقال: غسول الصودا؟ ما الذي تعنيه؟

قام بوارو بحركة اعتذار وقال: أنا آسف جداً لا اضطراري لذلك، ولكنني وضعت بعض حبيبات مسحوق الصودا في جيبيك.

- وضعت حبيبات الصودا في جيبي؟ لماذا بالله عليك؟

حذق هاريسن إليه، وتكلم بوارو بهدوء وبأسلوب موضوعي وكأنه محاضر نزل إلى مستوى طفل صغير. قال: أنت تعلم أن واحدة من محاسن (أو مساوئ) العمل كرجل تحرّيات أنه يجعلك على اتصال مع طبقات المجرمين، وهؤلاء يستطيعون أن يعلموك بعضاً من أغرب الأمور وأشدّها إثارة. صادفت نشالاً ذات يوم، واهتممت به لأنه -في تلك المرة تحديداً، من بين آلاف المرات- لم يكن قد ارتكب ما اتُّهم به، وهكذا أنقذته. ولأنه شعر بالامتنان لي فقد وفّاني أجري بالطريقة الوحيدة التي وصل إليها تفكيره، وهي تعليمي حيل

مهنته. وهكذا فإنني أستطيع نشل جيب رجل -إن أردت- دون أن يحس أبداً بذلك. أضع إحدى يدي على كتفه ثم أمثل دور المنفعل، ولا يحس هو بشيء، فيما أكون قد تمكنت من نقل ما في جيبه إلى جيبِي وترك بعض حبيبات الصودا مكانه.

ثم تابع بوارو حالماً: أرايت؟ لو أراد رجل أن يصل إلى بعض السم بسرعة ليضعه في كأس دون أن يلحظه أحد فإن عليه أن يحتفظ به في جيب معطفه الأيمن، ليس من مكان آخر. لقد عرفت أنه سيكون هناك.

ثم دس يده في جيبه وأخرج بعض الحبيبات البيضاء المتكتلة المبلورة، وتمتم قائلاً: خطيرة جداً... لا ينبغي حملها هكذا دون إناء محكم.

ومن جيبه الآخر أخرج ببطء وهدوء زجاجة واسعة الفوهة فأدخل الحبيبات المتبلورة فيها، ثم تقدم من الطاولة وملاً الزجاجة بالماء الصافي، وبعد ذلك أغلق سداداتها بحذر وأخذ يربّها حتى ذابت الحبيبات. كان هاريسن يراقبه وكأنه مسحور، وبعد أن اقتنع بوارو بمحلولة مشى إلى عش الزنابير. فتح الزجاجة وأدار رأسه جانباً وسكب المحلول في العش، ثم تراجع خطوتين ليراقب الوضع.

كانت بعض الزنابير التي تحطّ عائدةً إلى عشها ترتجف قليلاً ثم ترتمي ساكنه، فيما زحفت زنابير أخرى خارج فتحة العش لترتمي ميتة بعدها. راقب بوارو ذلك برهة، ثم هزّ رأسه وعاد إلى الشرفة قائلاً: موت سريع، سريع جداً.

وجد هاريسن أخيراً صوته وقال: ما هو مدى معرفتك؟

نظر بوارو أمامه بعيداً وقال: كما قلت لك، لقد رأيت اسم كلود لانغتن في السجل. أمّا ما لم أخبرك به فهو أنني صادفته بعد ذلك مباشرة، وقد أخبرني أنه كان يشتري سيانيد البوتاسيوم بناء على طلبك أنت لتدمير عش الزنابير. وقد أثار ذلك انتباهي باعتباره أمراً غريباً يا صديقي، لأنني أتذكر أنك (في ذلك العشاء الذي تحدثت عنه) تكلمت مطولاً عن الحسنات الكبيرة لاستخدام النفط واستنكرت شراء السيانيد باعتباره خطيراً وغير ضروري.

- استمر.

- وعرفت شيئاً آخر. لقد رأيت كلود لانغتن ومولي دين معاً في مكان لم يكونا يظنان أن أحداً سيراهما فيه. إنني لا أعرف تلك المشاجرة بين المحبّين التي جعلتهما أساساً يفترقان ودفعت الفتاة إليك، ولكنني أدركت أن سوء التفاهم بينهما قد زال وأن الأنسة دين كانت في طريق عودتها إلى حبيبها السابق.

- استمر.

- وقد علمت شيئاً آخر يا صديقي. لقد كنتُ قبل أيام في شارع هارلي، شارع الأطباء، ورأيتك خارجاً من عيادة طبيب معين. وأنا أعرف الطبيب وأعرف المرض الذي يلجأ إليه الناس من أجله، وقد قرأت التعبير على وجهك. ذلك التعبير الذي لم أره سوى مرة أو مرتين طوال حياتي، ولكنه تعبير لا يمكن الخطأ فيه. كان وجهك وجه رجل حُكم عليه بالإعدام. أنا على حق في هذا، أليس كذلك؟

- على حق تماماً، وقد قرر الطبيب أنني لن أعيش سوى شهرين.

- أنت لم ترني - يا صديقي - لأنك كنت مشغولاً جداً بأمور أخرى تفكر فيها. وقد رأيت شيئاً آخر في وجهك، ذلك الشيء الذي قلت لك عصر اليوم أن الرجال يحاولون إخفاءه... رأيت فيه الكراهية يا صديقي. أنت لم تكلف نفسك عناء إخفائها لأنك لم تظن أن أحداً كان يراقبك.

- استمر.

- لم يعد لديّ كثير مما يمكن أن يُقال. جئتُ هنا ورأيت اسم لانغتن بالمصادفة في سجل السموم كما قلت لك، ثم قابلته، وبعدها جئتُ لمقابلتك هنا ونصبت لك فخاخاً. أنت أنكرت أنك طلبت من لانغتن الحصول على السيانيد، أو بالأحرى عبّرت عن دهشتك لفعله ذاك. لقد فوجئت في البداية لدى رؤيتي، ولكنك سرعان ما أدركت أن وجودي سيكون مناسباً لما تفكر فيه، فشجعت شكوكي. كنت أعرف من لانغتن نفسه أنه سيأتي هنا في الساعة الثامنة والنصف، ولكنك قلت إنه سيجيء في التاسعة، معتقداً أنني سأتي لأجد كل شيء منتهياً. وهكذا كنت أعرف كل شيء.

- لماذا أتيت؟ لو أنك فقط لم تأت!

اعتدل بوارو في جلسته وقال: لقد قلت لك، إن القتل هو اختصاصي.

- القتل؟ بل قل: الانتحار.

صدع صوت بوارو حاداً واضحاً وهو يقول: كلا، بل أعني

القتل. كان موتك سيكون سريعاً وسهلاً، ولكن موت لانغتن الذي خططت له كان أسوأ موت يمكن لإنسان أن يلقاه، فهو الذي اشترى السم، وهو الذي جاء لزيارتك، وهو -وحده- الذي كان معك. تموت فجأة، ويُكشف السيانيذ في كأسك، ويُشنق كلود لانغتن... تلك كانت خطتك.

زمجر هاريسن مرة أخرى نائحاً: لماذا أتيت؟ لماذا أتيت؟

- لقد أخبرتك. ولكن يوجد سبب آخر، هو أنني أحبك. اسمع يا صديقي، إنك رجل يُحتَضَر، وقد فقدت الفتاة التي أحبتها، ولكن شيئاً واحداً لا يمكن أن تكونه... فأنت لست قاتلاً. قل لي الآن: أأنت سعيد أم آسف لحضوري؟

سادت لحظة صمت طويلة، ثم اعتدل هاريسن في جلسته وبدأت في وجهه هيئة جديدة، هيئة رجل استطاع أن يتحكم بدخيلة نفسه العميقة. مَدَّ يده عبر الطاولة وصاح: شكراً لله أنك أتيت... آه، شكراً لله أنك أتيت.

* * *

اُنْغَاثَا كُرِيسِي

مُغَامَرَة كَعْكَة الْعِيد وَقِصَص أُخْرَى

طُبِعَت لِلْمَرَّةِ الْأُولَى بِاللُّغَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ عَامَ ١٩٦٠

ترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون



للترجمة
والنشر
الأجّال

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لمجموعة أغاثا كريستي القصصية
المنشورة أول مرة عام ١٩٦٠ بعنوان

The Adventure of the Christmas Pudding

Copyright © Agatha Christie Ltd 1960

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بآية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة

٢٠٢٠

أربعة وعشرون شحروراً

- لن تجد ألدّ منها... هل تأخذ الحساء أولاً أم السمك؟

درس السيد بولينغتون الأمر وقال لبوارو محدّراً (إذ رآه يتفحص قائمة المأكولات): لن تجد هنا أيّاً من أصنافك الفرنسية؛ لا يوجد سوى الطعام الإنكليزي الطيب المطهوّ جيداً.

لوح بوارو بيده قائلاً: لن أطمع بأفضل من ذلك يا صديقي! استلم أنت قيادي دون تحفظ.

- آه، حسناً.

قالها السيد بولينغتون وأعطى المسألة جُلّ اهتمامه. وبعد أن تمت تسوية هذه المسائل الخطيرة استراح السيد بولينغتون في كرسيه متنهداً وبسط منديله على المائدة، بينما انطلقت مولي بسرعة إلى عملها، فعلق باستحسان: إنها فتاة جيدة، وقد كانت جميلة جداً فيما مضى بحيث كان الفنانون يرسمونها، وهي -بالإضافة إلى ذلك- خبيرة بالطعام، وهو الأهم، إذ إن النساء لسن ذوّاقات فيما يخص الطعام عادةً، وستجد كثيراً من النسوة إذا خرجت إحداهنّ مع مَنْ تحبه فلن تنتبه إلى ما تأكله بل ستطلب أول صنف تراه.

هزّ بوارو رأسه قائلاً: هذا فظيع!

قال بولينغتون وهو يشعر بالرضا عن نفسه: إن الرجال ليسوا كذلك والحمد لله!

- كلهم؟

قال بوارو ذلك وطرف بعينه، فاستدرك السيد بولينغتون قائلاً: حسناً، ربما كانوا غير ذلك في أول شبابهم. شبان مغرورون! إن شبّان هذه الأيام كلهم على نفس الشكل، يفتقرون جميعاً إلى الشجاعة والعزم. لا أحبهم!

ثم أضاف بنزاهة تامة: وهم لا يحبونني، وربما كانوا على صواب. ولكنك لو سمعت أحدهم يتحدث لحسبت أن أحداً لا ينبغي له أن يعيش بعد سن الستين! ولو حكم المرء بما يراه من عقليّتهم لاستغرب كيف لا يُقدّم هؤلاء الشبان على دفع أقربائهم المسنين إلى مغادرة هذه الدنيا!

- من الممكن أنهم يصنعون ذلك فعلاً.

- إن لك عقلاً رائعاً يا بوارو! لقد أدى انخراطك في العمل البوليسي إلى تدمير مُثلِكَ العليا.

ابتسم بوارو وقال: ومع ذلك فإن من الجدير بالاهتمام وضع جدول بالوفيات نتيجة الحوادث فوق سن الستين، وأنا أؤكد لك أن جدولاً كهذا سيثير علامات استفهام كثيرة في رأسك.

- مشكلتك أنك بدأت تسعى إلى البحث عن الجريمة بدل انتظار حدوثها وعرضها عليك.

- أعتذر إذ أتكلم بوحى من مهنتي. أخبرني يا صديقي عن أمورك، كيف تمضي الحياة معك؟

- في فوضى! هذه هي مشكلة الحياة في أيامنا، الكثير من الفوضى والكثير من الكلام المنمّق. ويساعد الكلام المنمّق في إخفاء الفوضى، كنكهة الصلصة القوية التي تخفي حقيقة السمكة الفاسدة! أعطيني شريحة سمك حقيقية ودعني من فوضى الصلصة فوقها.

في تلك اللحظة أعطته مولي تلك الشريحة فهمهم مستحسنًا: إنك تعرفين تمامًا ما أحبه يا فتاتي!

- ينبغي أن أعرف ما تحب يا سيدي، فأنت تأتي إلى هنا بانتظام.

سألها هيركيول بوارو: فهل يحب الناس -إذن- الأشياء نفسها دائماً؟ ألا يحبون بعض التغيير أحياناً؟

- ليس الرجال يا سيدي. النساء يحببن التنوع، أما الرجال فإنهم يحبون الأصناف ذاتها دوماً.

علّق بولينغتون قائلاً: ألم أقل لك؟ النساء بطبعهن غير ذوّاقات فيما يخص الطعام!

ثم أجال بصره في المطعم وقال: العلم مضحك أحياناً. هل ترى ذلك العجوز ذا اللحية والشكل الغريب في الزاوية؟ بوسع مولي أن تخبرك أنه دائم الحضور إلى هذا المطعم مساء كل ثلاثاء وخميس مُنذ نحو عشر سنوات، حتى أصبح أحد معالم هذا المطعم. ومع ذلك لا يعلم أحدٌ هنا اسمَه أو عنوانه أو عمله. إذا فكرت بذلك ستجده غريباً.

عندما أحضرت النادلة وجبة الديك الرومي سألتها بولينغتون:
أرى أنكم ما زلتُم تستضيفون «أبانا العتيق» هناك؟

- نعم يا سيدي؛ في كل ثلاثاء وخميس، هذان هما يوماه. إلا أنه جاء يوم الإثنين في الأسبوع الماضي، وقد أقلقني ذلك تماماً... شعرت أنني مخطئة في التاريخ وأن ذلك اليوم كان الثلاثاء دون أن أدري! ولكنه عاد فأتى في الليلة اللاحقة، فكان يوم الإثنين -كما يبدو- مجرد زيارة إضافية إذا صحَّ التعبير.

تمتم بوارو قائلاً: إنه تغيير في عاداته يبعث على الاهتمام، فما هو السبب يا ترى؟

- إن أردت رأيي -يا سيدي- فأنا أعتقد بأنه كان منزعجاً أو قلقاً.

- ولماذا تعتقدين ذلك؟ من تصرفه؟

- لا يا سيدي. ليس تصرفه بالضبط، فقد كان هادئاً كعادته، إذ يكتفي بعبارة «مساء الخير» عندما يأتي وعندما يذهب. ولكن الغريب كان طلبه.

- طلبه؟

خجلت مولى وقالت: لعلكم ستسخرون مني يا سادتي، ولكن عندما يأتي امرؤ هنا طوال عشر سنوات فلا بد لنا أن نعرف ما يحب وما يكره. لم يكن هذا العجوز يحب فطائر الشحم أو التوت البري الأسود، ولم أره يوماً يطلب حساء ثخيناً... ولكنه طلب في ليلة الإثنين تلك حساء البندورة الثخين وشريحة لحم بقري ونقانق الكلى وفطيرة

محشوة بالتوت البري الأسود... بدا وكأنه لم يلاحظ ما الذي طلبه!

قال بوارو: هل تعلمين أنني أجد ذلك غريباً جداً؟

مضت مولي وهي راضية بما سمعته، فضحك هنري بولينغتون وقال: حسناً يا بوارو، أتحنفنا ببعض استنتاجاتك المعهودة.

- أفضل أن أسمع استنتاجاتك أنت أولاً.

- تريدني أن أكون الدكتور واطسون؟ حسناً، لنقل إن العجوز راجع طبيباً فغير الطبيب نظامه الغذائي.

- يغير نظامه إلى حساء ثخين وشرائح لحم ونقانق الكلى وكعك التوت البري؟ لا أتخيل طبيباً يصف ذلك.

- لا تصدق ذلك يا صديقي، فالأطباء مستعدون لنُصَحِّحَ بأي شيء.

- أهذا هو الحل الوحيد الذي خطر ببالك؟

- حسناً، لتكلم بجد. أظن أن ثمة تفسيراً واحداً ممكناً، وهو أن صاحبنا المجهول كان في حمأة عقلية قوية شوَّشَتَه إلى الحد الذي لم ينتبه فعلاً لما يطلبه أو يأكله.

وصمت لحظة ثم مضى قائلاً: وأراك تخبرني بعدها أنك تعرف تماماً ما الذي كان يدور في ذهنه، وربما قلت إنه كان يعتزم ارتكاب جريمة.

ثم ضحك من اقتراحه، ولكن هيركيول بوارو لم يضحك.

* * *

اعترف بوارو بأنه كان في تلك اللحظة قلقاً تماماً، وقال إنه كان يُفترض فيه وقتها أن يدرك ولو طرفاً بسيطاً مما قد حدث، ولكن أصدقائه أكدوا له أن فكرة كهذه خيالية تماماً.

* * *

لم يلتقِ هيركيول بوارو بصديقه بولينغتون إلا بعد ثلاثة أسابيع، وكان لقاؤهما تلك المرة في قطار الأنفاق حيث حيّا كلُّ منهما صاحبه بهزة رأس وهما يتأرجحان وقوفاً متعلقين بالمساقات الجلدية للعربة، ثم خرج جمع غفير في محطة بيكادلي فتوفرت مقاعد في مقدمة العربة حيث يجد المرء الراحة لعدم خروج أحد أو دخوله من هناك.

قال بولينغتون: هذا أفضل. ما أشد أنانية هؤلاء الناس! إنهم لا يفسحون مجالاً في العربة مهما ناشدتهم.

رفع بوارو كتفيه استهجاناً وقال: وبأي شيء عساك تناشدهم؟ بعمرِكَ؟ لا أحد يعلم كم تطول حياته.

- فعلاً، لا يلبث اليوم أن يصير أمساً دابراً.

قالها السيد بولينغتون بنبرة كئيبة ثم أضاف: وبمناسبة الحديث عن هذا، هل تذكر ذلك العجوز الذي رأيناه في مطعم غالانت أنديفر؟ لن أستغرب أن يكون قد اختار الدار الباقية لأنه لم يتردد على المطعم طوال أسبوع كامل، حتى إن مولاي قلقاً جداً بشأن غيابه.

اعتدل بوارو في جلسته ولمعت عيناه الخضراوان وقال: حقاً؟ حقاً؟

فأجابه بولينغتون: هل تذكر اقتراحي بأنه قد راجع طبيباً وغير

نظامه الغذائي؟ إن مسألة النظام الغذائي أمر سخيخ بالطبع، ولكن ربما كان قد راجع طبيباً بخصوص حالته الصحية فقال له الطبيب شيئاً أصابه بصدمة ما. وهذا ما يفسر طلبه أشياء لم يألها دون الانتباه لما يفعله، ومن المحتمل كثيراً أن تكون تلك الصدمة قد عجلت بخروجه من هذا العالم بأسرع مما لو لم يتلقها، ولذلك ينبغي للأطباء أن يدققوا فيما يقولونه لمرضاهم.

- إنهم يدققون عادة.

- ها قد جاءت محطتي. وداعاً، لا تفترض أننا يمكن أن نعرف أبداً هوية ذلك العجوز، ولا حتى اسمه... علام تضحك؟

وأسرع خارجاً من العربة، أما بوارو فبدا وهو يجلس مقطّب الجبين وكأنه لا يعتقد بأن هذا العالم مضحك فعلاً، ثم ذهب إلى بيته وأعطى بعض التعليمات لخدامه المخلص جورج.

* * *

مرّر هيركيول بوارو إصبعه على قائمة بأسماء الوفيات في منطقة معينة، ثم توقفت إصبعه وهو يردد: هنري جازكوين، العمر تسعة وستون عاماً. سأجرب هذا أولاً.

وفي وقت لاحق من ذلك اليوم جلس بوارو مع الدكتور ماكاندرو في عيادته في شارع كينغز. كان ماكاندرو طويلاً أحمر الشعر ذكي القسمات، وأجاب عن تساؤل بوارو قائلاً: جازكوين؟ نعم، صحيح، ذلك العجوز غريب الأطوار. كان يعيش في أحد تلك البيوت القديمة المهجورة التي تُهدم عادة لبناء مجمعات شقق حديثة. لم أعالجه من قبل، ولكنني كنت أراه أحياناً وأعرفه. لقد كان عامل

الألبان هو الذي لاحظ الأمر في البداية، إذ بدأت زجاجات الحليب المملوءة تتراكم خارج باب بيته، وبعدها أخبر جيرانه الشرطة الذين كسروا الباب ووجدوه. كان قد هوى عن الدرج فاندقت عنقه، وكان يرتدي رداء نوم قديماً ذا نطاق مهترئ يحتمل أن يكون قد تعثر به.

- هكذا إذن؟ كان الأمر بسيطاً تماماً... مجرد حادث.

- نعم.

- هل له أقرباء؟

- ابن أخت له كان يأتي لرؤية خاله مرة في الشهر تقريباً، اسمه جورج لوريمر، وهو طبيب أيضاً ويقيم في ويمبلدون.

- هل بدا منزعجاً لوفاة العجوز؟

- لا أستطيع تأكيد ذلك. أعني أنه كان يحب خاله العجوز، ولكنه لم يكن يعرفه حق المعرفة.

- كم كان قد مضى على وفاة السيد جازكوين عندما رأيته؟

- آه، هنا نأتي إلى الجانب الرسمي... كان قد مرّ على وفاته ما بين ثمان وأربعين ساعة واثنين وسبعين ساعة. لقد اكتشفت جثته صباح السادس من هذا الشهر، وكان في جيب رداءه رسالة كُتبت في الثالث من الشهر ووضعت في البريد في ويمبلدون بعد ظهر اليوم الثالث، والأغلب أنها وصلت في نحو الساعة التاسعة والثلث مساء اليوم نفسه. وهذا يجعل وقت الوفاة بعد الساعة التاسعة والثلث من اليوم الثالث في هذا الشهر، وهو ينسجم مع ما وجدناه في معدته من طعام ومع عمليات الهضم، إذ كان قد تناول وجبة قبل نحو ساعتين

من موته. وقد فحصته صباح اليوم السادس وكانت حالته تشير إلى أن الوفاة حدثت قبل نحو ستين ساعة، أي قرب العاشرة من مساء اليوم الثالث.

- هذا كله يبدو طبيعياً ومنسجماً بعضه مع بعض. قل لي: متى شوهد حياً آخر مرة؟

- شوهد في نحو السابعة من مساء ذلك اليوم في شارع كينغز، حيث تعيش في مطعم غالانت أنديفر في السابعة والنصف، ويبدو أنه كان يتعيش هناك في كل ثلاثاء.

- أليس له أقرباء آخرون غير ابن أخته؟

- كان له شقيق توأم. وتبدو قصتهما غريبة تماماً، فهما لم يلتقيا منذ سنوات، ويبدو أن شقيقه أنطوني جازكوين تزوج امرأة غنية جداً وهجر الفن، وقد تشاجر الشقيقان إثر ذلك ولم يتقابلا منذ ذلك الحين كما أعتقد. ولكن الغرابة كلها في حقيقة أنهما توفيا في اليوم نفسه، حيث مات الشقيق الأكبر في الساعة الثالثة من بعد ظهر الثالث من هذا الشهر! لقد مرت بي في السابق حالة توأمين يموتان في يوم واحد وهما في بقعتين مختلفتين من العالم. ربما كان ذلك مصادفة، ولكنه حدث.

- وزوجة الشقيق الآخر، أهي على قيد الحياة؟

- لا، لقد ماتت منذ بضع سنين.

- وأين كان أنطوني جازكوين يعيش؟

- كان لديه بيت في منطقة كينغستون هيل، وكان يعيش في عزلة عن العالم كما فهمت من الدكتور لوريمر.

هزّ بوارو رأسه مفكراً، فيما نظر إليه الطبيب بحدّة ثم سأله
بفضاضة: ما الذي تفكر فيه بالضبط يا سيد بوارو؟ لقد أجبته عن
أسئلتك كما يمليه عليّ الواجب وأنا أرى الوثائق التي أبرزتها لي،
ولكنني ما زلت أجهل سبب كل هذه الأسئلة.

أجاب بوارو ببطء: ما قلته يفيد بأن القضية قضية بسيطة لوفاة
جاءت نتيجة حادث، أما ما أفكر فيه فهو أنها قضية بسيطة بنفس
الدرجة، ولكنها قضية دفعة بسيطة.

جفل الطبيب ماكاندرو وقال: بكلمة أخرى: جريمة قتل! هل
لديك أية أسباب لهذا الاعتقاد؟

- لا، إنه مجرد افتراض.

- ولكن لا بد من وجود سبب.

لم يتكلم بوارو، فقال ماكاندرو: إن كان ابن الأخت لوريمر هو
موضع شكوكك فإنني أقول لك الآن: إنك تلاحق الشخص الخطأ.
فقد كان لوريمر يلعب الورق في ويمبلدون من الساعة الثامنة والنصف
وحتى منتصف الليل، وقد ورد ذلك في الاستجواب.

- والأغلب أن هذا الأمر قد فُحص وتم التأكد منه، فالشرطة
حريصون في هذه الأمور.

- هل عندك أي معلومات ضده؟

- لم أكن أعلم بوجوده أصلاً حتى أخبرتني أنت.

- فهل تشكّ في شخص آخر إذن؟

- لا، لا، ليست هذه هي المشكلة أبداً. إنها قضية العادات

الروتينية لذلك الحيوان الذي يسمّى إنساناً. إنها قضية مهمة جداً،
والسيد جازكوين الراحل لا ينطبق وضعه ولا ينسجم. هناك خطأ ما،
هل تفهمني؟

- في الواقع لا أفهم.

تمتم بوارو قائلاً: المشكلة هي أن ترى كثيراً من الصلصة فوق
السمكة الفاسدة.

- ماذا تعني يا سيدي العزيز؟

ابتسم بوارو وقال: أنت توشك أن تقفل عليّ الباب كما يفعل
بالمجانين يا سيدي الدكتور، ولكنني لست مصاباً بعقلي في الحقيقة،
فأنا مجرد رجل يحب النظام والمنهجية ويشعر بالقلق عندما يصادف
حقيقة لا تنسجم معهما. عليّ أن أطلب عفوك لما سبّبت لك من تعب.

نهض ونهض معه الطبيب وهو يقول: أنا -بصدق- لا أرى أي
شيء يبعث على الشك في موت هنري جازكوين. أنا أقول إنه وقع،
وتقول أنت إن شخصاً ما قد دفعه. حسناً، ربما كان كل ذلك... مجرد
افتراضات.

تنهد هيركيول بوارو وقال: نعم، إنه عمل بارع. لقد قام شخص
بهذه العملية بنجاح!

- أما زلت تعتقد...

رفع الرجل الضئيل يديه مقاطعاً: أنا رجل عنيد... رجل يحمل
فكرة صغيرة وما من شيء يدعمها! بالمناسبة، هل كانت لهنري
جازكوين أسنان اصطناعية؟

- لا ، فقد كانت أسنانه في حالة ممتازة ، أسنان رائعة حقاً لمن هم في مثل سنه.

- أكان يعتني بها جيداً؟ هل كانت بيضاء نظيفة؟

- نعم ، لقد لفتت أسنانه انتباهي بشكل خاص ، فالأسنان تميل إلى الاصفرار مع تقدم العمر ، ولكن أسنانه كانت في حالة جيدة.

- ألم تكن ملوَّنة بأي شكل؟

- لا أعتقد أنه كان مدخناً إن كان هذا ما تقصده.

- لا ، لم أقصد ذلك تحديداً. كانت مجرد رمية بعيدة ربما لا تصيب هدفها! وداعاً يا دكتور ماكاندرو ، وشكراً على لطفك.

صافح الطبيب وغادر قائلاً: والآن ، إلى الرمية البعيدة.

* * *

جلس في مطعم غالانت أنديفر على الطاولة نفسها التي جلس عليها مع بولينغتون ، وقد خدمته فتاة غير مولية ، فمولي كانت في إجازة كما أخبرته الفتاة.

كانت الساعة قد بلغت السابعة تماماً ، ولم يجد بوارو أي صعوبة في الدخول مع الفتاة في محادثة حول السيد جازكوين العجوز. قالت النادلة: نعم ، استمرّ في المجيء إلى هنا سنوات وسنوات ، ولكن أياً منا -نحن الفتيات- لم تعرف اسمه. لقد رأينا التحقيق حول وفاته في الصحيفة حيث وضعوا صورة له ، فقلت لمولي: انظري ، أليس هذا «أبانا العتيق» (كما كنا ندعوه)؟

- لقد تعشى هنا ليلة وفاته ، أليس كذلك؟

- بلى ، يوم الثلاثاء الثالث من هذا الشهر ، حيث كان يأتي بانتظام أيام الثلاثاء... الثلاثاء والخميس ، وكان دقيقاً في حضوره كالساعة.

- وهل تذكرين ما الذي تناوله على العشاء؟

- دعني أتذكر... تناول حساء دجاج بالتوابل الهندية ، ونقانق بقر ، وفطيرة التوت الأسود والتفاح والجبن. مَنْ كان يظن أنه سيذهب بعدها إلى بيته ويقع من أعلى الدرج في تلك الليلة نفسها؟ قالوا إنه تعثر بالنطاق المتهترئ لثوبه. طبعاً كانت ملابسه غريبة دوماً... بالية قديمة الطراز ، وكان يلبسها كيفما اتفق. ومع ذلك فقد كان ذا هيئة توحى بأنه كان شخصاً مهماً. آه ، إن لدينا كل أنواع الزبائن الغريبين هنا.

ثم مضت ، وأكل بوارو شريحة السمك التي طلبها وعيناه تشعان ببريق أخضر. قال لنفسه: غريب ، كيف يقع أذكي الناس في أخطاء تفصيلية؟ سوف يستمتع بولينغتون بذلك. ولكن الوقت لم يحن بعد لإجراء حوار مرفهٍ مع بولينغتون.



لم يجد بوارو (الذي تسليح برسائل تعريف من أوساط نافذة معينة) صعوبة أبداً في التعامل مع محقق الوفيات في المنطقة ، وقد علق المحقق بقوله: إن الفقيد جازكوين شخصية غريبة. لقد كان عجوزاً وحيداً غريب الأطوار ، ولكن يبدو أن موته قد أثار كثيراً من الانتباه.

كان ينظر بشيء من الفضول إلى زائره وهو يتكلم. واختار بوارو

كلماته بعناية قائلاً: ثمة ظروفٌ أحاطت بموته يا سيدي ، وهي تجعل من التحقيق مسألة مطلوبة.

- حسناً ، كيف لي أن أساعدك؟

- أظن أن من اختصاصك أن تأمر بإتلاف أو بحفظ الوثائق التي تبرز في محكمتك ، كما ترى الأمر مناسباً. وهناك رسالة معينة وُجدت في جيب رداء الميت ، أليس كذلك؟

- هذا صحيح.

- هل كانت رسالة من ابن أخته ، الدكتور جورج لوريمر؟

- صحيح تماماً ، وقد أبرزت الرسالة في أثناء الاستجواب لتحديد وقت الوفاة.

- وتطابقت في ذلك مع الدليل الطبي ، أليس كذلك؟

- بالضبط.

- ألا تزال تلك الرسالة موجودة؟

انتظر بوارو الرد بلهفة ، وعندما سمع بأن الرسالة ما زالت موجودة ويمكن له فحصها تنهد بارتياح ، وعندما أُحضرت له الرسالة أخيراً فحصها بعناية. كانت مكتوبة بخط معقّد قليلاً وبقلم حبر ، وكان نصها:

الخال العزيز هنري ،

يؤسفني أن أبلغك بأنني لم أحقق نجاحاً فيما يخصّ الخال أنطوني ، إذ لم يُبدِ أي حماسة لزيارة منك له ،

ولم يعطني جواباً على طلبك منه بنسيان الماضي وفتح
صفحة جديدة.

إنه مريض جداً بالطبع ، وعقله يميل إلى الخرف. وأظن
أن نهايته أصبحت قريبة جداً، فقد بدا أنه لم يتذكر مَنْ
أنت إلا بصعوبة.

أعتذر لفشلي في تحقيق رغبتك ، ولكنني أؤكد لك
أنني بذلت قُصارى جهدي.

ابن أختك المحب: جورج لوريمر

كانت الرسالة نفسها مؤرّخة في الثالث من تشرين الثاني، وقد
ألقي بوارو نظرة على ختم البريد على المغلف فقرأ: ٣٠، ٤ مساءً،
٣ تشرين الثاني.

تمتم بوارو قائلاً: إنها وفق النظام تماماً، أليس كذلك؟

* * *

كانت وجهته التالية هي كينغستون هيل. وهناك، بعد قليل
من المتاعب ومن ممارسة الإلحاح المختلط بروح الدعابة، حصل
بوارو على مقابلة مع إميلي هيل، طاهية ومديرة منزل الراحل أنطوني
جازكوين.

كانت السيدة هيل ميّالة إلى العناد والتشكيك في البداية، ولكن
اللطيف الساحر لهذا الأجنبي ذي الشكل الغريب كان من شأنه أن يؤثر
في جُلُموذ الصخر. وهكذا بدأت إميلي هيل تتخلى عن تحفظها،
فقد وجدت نفسها -ككثير من النساء قبلها- تصبّ متاعبها في أذن
متعاطفة حقاً.

لقد تولت مسؤولية منزل السيد جازكوين طوال أربعة عشر عاماً، وما كان ذلك بالعمل السهل أبداً. كان يمكن للكثيرات أن يذبلن تحت وطأة الأعباء التي اضطرت إلى تحمّلها! كان الرجل المسكين غريب الأطوار، ولا يمكن إنكار ذلك، وعلى درجة كبيرة من البخل... بل كان ذلك مرضاً فيه، وهو الرجل الغني! ولكن السيدة هيل خدمته بإخلاص وتحملت طريقة حياته، وتوقعت منه -على كل حال- أن يترك لها «ذكرى». ولكن لا، لا شيء البتة! مجرد وصية قديمة تعطي كل أمواله لزوجته، وفي حال وفاتها قبله يؤول كل شيء لأخيه هنري. وصية تمت صياغتها منذ سنوات طويلة، ولم تكن عادلة!

أبعدها بوارو تدريجياً عن موضوعها الرئيسي: الجشع الذي ليس له حدود. لقد كان ذلك ظلماً قاسياً بالفعل، ولا يجدر أن تلام السيدة هيل على شعورها بالدهشة والأذى، فقد كان السيد جازكوين مشهوراً بأنه ذو قبضة محكمة فيما يخص إنفاق المال، بل يقال إن الرجل الميت قد رفض مساعدة أخيه الوحيد. وربما كانت السيدة هيل تعلم كل ذلك، فقد سألت بوارو قائلة: ألهذا السبب جاء الدكتور لوريمر طالباً رؤيته؟ لقد علمت أن الأمر يتعلق بأخيه، ولكنني ظننت أن الأمر لا يعدو رغبة أخيه في المصالحة معه، فقد تشاجرا منذ سنوات.

- ولكنني فهمت أن السيد جازكوين رفض ذلك تماماً، أليس كذلك؟

- هذا صحيح تماماً؛ لقد قال وقتها: "هنري؟ ما هذا الذي أسمعه عن هنري؟ لم أره منذ سنوات ولا أريد رؤيته، إنه شخص كثير الخصام"... هكذا قال تماماً.

ثم عاد الحديث إلى أحزان السيدة هيل الخاصة والموقف القاسي لمحامي السيد جازكوين، ووجد بوارو بعض الصعوبة في الاستئذان اللبق الذي لا يقطع الحديث بشكل فظ.

بعد ذلك وعقب فترة الغداء توجه إلى شارع دورسيت في ويمبلدون حيث مسكن الدكتور جورج لوريمر. كان الطبيب في المنزل، وقد تم إرشاد بوارو إلى العيادة الملحقة بالمنزل وأتاه الدكتور لوريمر سريعاً بعدما أنهى غداءه كما هو واضح.

قال له بوارو: أنا لست مريضاً يا دكتور، وربما كان في حضوري إلى هنا بعض الوقاحة، ولكنني رجل عجوز أؤمن بالتعامل البسيط والمباشر ولا آبه بالمحامين وأساليبهم الملتوية.

لقد أثار اهتمام لوريمر بالتأكيد. كان الطبيب رجلاً حليقاً متوسط الطول ذا شعر بني ورموش تكاد تكون بيضاء مما يضفي على عينيه سمة الشحوب، وكان أسلوبه رشيقياً مع الدعابة. ورداً على كلام بوارو رفع الدكتور حاجبيه وقال: المحامون؟ كم أكرههم! ولكنك أثرت فضولي يا سيدي العزيز، أرجوك أن تجلس.

جلس بوارو ثم أخرج بطاقة تعريف بمهنته وناولها للطبيب. طرفت رموش جورج لوريمر البيضاء فيما حنى بوارو قامته للأمام وقال كأنه يفشي سرّاً: إن العديد من زبائني نساء.

- هذا طبيعي.

- صحيح، هذا طبيعي لأن النساء لا يثقن بالشرطة ويفضلن التحريات الخاصة، حيث لا يردن أن تنتشر أخبار مشكلاتهن. لقد جاءت امرأة عجوز لاستشارتي قبل بضعة أيام، وكانت حزينة على

زوجها الذي تشاجرت معه قبل سنوات. وقد كان زوجها هذا هو خالك الراحل، السيد جازكوين.

اصطبغ وجه جورج لوريمر بلون كالأرجوان، وهتف قائلاً: خالي؟ هذا هراء! لقد ماتت زوجته منذ سنوات طويلة.
- ليس خالك السيد أنطوني جازكوين، بل خالك السيد هنري جازكوين.

- خالي هنري؟ ولكنه لم يكن متزوجاً!

- بل كان متزوجاً.

قالها بوارو وهو يستند بارتياح ودون تردد، ثم أضاف: ما من شك في ذلك، ولقد أحضرت السيدة معها عقد الزواج.

صاح جورج لوريمر وقد أصبح وجهه بلون ثمرة الخوخ: هذه كذبة! لا أصدق ذلك... إنك كاذب وقح.

- كم هو سيئٌ بالنسبة لك أن ترتكب جريمة من أجل لا شيء، أليس كذلك؟

- جريمة؟! -

قالها لوريمر وقد تهدج صوته وجحظت عيناه الشاحبتان رعباً.

- بالمناسبة، أرى أنك قد عدت إلى أكل حلوى التوت البري الأسود. إنها عادة سيئة، فمع أن التوت البري الأسود مليء بالفيتامينات كما يقال، إلا أنه ربما يكون قاتلاً في بعض الأحيان. وفي هذه الحالة أتصور أن التوت البري ساعد في وضع الجبل حول عنقك يا دكتور لوريمر.

* * *

قال بوارو لصديقه بولينغتون وهو يتسم بهدوء ويلوح بيده مفسراً: وهكذا ترى يا صديقي أنك أخطأت في افتراضك الأساسي، إذ إن رجلاً يعاني من ضغط عقلي شديد لا يمكن أن يعمل وهو في حالته تلك شيئاً لم يعمله من قبل. إن ردود أفعاله تتخذ فوراً المسار الذي لا يحتوي أي مقاومة. والآن: هل يمكن لشخص يكره الحساء الثخين والنقانق المدهنة والتوت البري أن يطلب فجأة وفي ليلة واحدة الأصناف الثلاثة جميعاً؟ إنك تقول إن ذلك حدث لأنه كان يفكر في أمر آخر، ولكنني أقول إن الرجل الذي يشغله شاغل في عقله سوف يطلب آلياً الوجبة التي اعتاد أن يطلبها مراراً.

حسناً، إذن فما التفسير البديل لذلك؟ لم أستطع -ببساطة- أن أجِد تفسيراً معقولاً، ولهذا شعرت بالقلق! لقد كان الأمر كله خطأ ولا ينسجم مع المنهج، وأنا ذو عقل منظم يحب أن يرى الأشياء تحدث بمنهجية، وقد أقلقني طلب عشاء السيد جازكوين. ثم قلت لي إن الرجل اختفى وغاب يومي الثلاثاء والخميس للمرة الأولى منذ سنوات، فزاد ذلك في قلقي وأورد إلى ذهني افتراضاً غريباً، وهو أن الرجل ميت إذا صدق ظني، ولذلك قمت بتحرياتي فعلمت أنه مات حقاً وأنه مات بشكل مرتب ومنظم جداً! وبكلمة أخرى: كانت السمكة الفاسدة مغطاة بالصلصة!

كان قد شوهد في شارع كينغز في السابعة مساءً، وتناول عشاءه هنا في السابعة والنصف، قبل ساعتين من موته. وكان كل ذلك يتطابق وينسجم بعضه مع بعض: دليل محتويات المعدة، ودليل الرسالة... كان هناك الكثير من الصلصة، حتى إنك لا تستطيع رؤية السمكة نهائياً!

ابن الأخت المخلص كتب الرسالة، وابن الأخت المخلص كان

لديه دليل على أنه كان في مكان آخر ساعة الجريمة. وكانت الوفاة بسيطة تماماً: سقوط عن الدرج. هل كان ذلك حادثاً بسيطاً أم جريمة قتل بسيطة؟ كان الجميع يقولون بالخيار الأول.

ابن الأخت المخلص هو القريب الوحيد الباقي على قيد الحياة، ابن الأخت المخلص سَيرث... ولكن، هل كان هناك ما يمكن أن يرثه؟ لقد كان الخال مُعَدِّماً، ولكن كان هناك أخ، وأخ تزوج في شبابه امرأة غنية، والأخ يعيش في بيت ثمين ضخم في كينغستون هيل، ولذلك يبدو أن الزوجة الغنية قد تركت له كل ثروتها. هل ترى السلسلة؟ الزوجة الغنية تترك المال لأنطوني، وهو يترك ماله لهنري، وأموال هنري تؤول لجورج... سلسلة كاملة.

قال بولينغتون بعد أن استمع إلى كل هذا الشرح: كل هذا جميل نظرياً، ولكن ما الذي فعلته عملياً؟

- حالما تمتلك المعرفة فإنك تستطيع أن تمسك بما تريد. لقد مات هنري بعد ساعتين من تناول وجبة، كان ذلك كل ما أراد التحقيق أن يهتم به. ولكنْ لنفترض أن تلك الوجبة كانت وجبة غداء لا عشاء. ضع نفسك مكان جورج، فقد كان بحاجة ماسة إلى المال، وكان أنطوني جازكوين يموت، ولكن موته لم يكن مفيداً لجورج لأن أمواله ستنتقل إلى هنري الذي يُحتمل أن يبقى على قيد الحياة سنوات. لذلك فإن هنري يجب أن يموت أيضاً، والمفضل أن يكون ذلك بسرعة. ولكن ينبغي أن يحدث موته بعد موت أنطوني، وفي نفس الوقت كان على جورج أن يؤمّن دليل غياب عن مكان الجريمة. وقد منحَتْ عادةً هنري في تناول عشاءه في المطعم مرتين أسبوعياً جورج فكرة تأمين مثل ذلك الدليل، وبما أنه رجل حذر فقد حاول

تجربة خطته أولاً، فتقَمَّص دور خاله متتكرراً مساء الإثنين في ذلك المطعم. لم ينتبه أحدٌ إلى الأمر ونجحت التجربة، فقد ظنه الجميع خاله، فشعر بالرضا. ولم يبقَ عليه سوى رؤية علامات قاطعة على أن وفاة خاله أنطوني أصبحت وشيكة، وعندما بدأ خاله يُحتضر كتب رسالة إلى خاله هنري بعد ظهر الثاني من تشرين الثاني، ولكنه أرَّخها في الثالث من الشهر، ثم حضر إلى المدينة بعد ظهر اليوم الثالث فزار خاله ونفذ خطته... دفعة قوية ويهوي الخال هنري إلى أسفل الدرج. يبحث جورج عن الرسالة التي كتبها لخاله ليجدها ويدسها في جيب رداء النوم الذي كان خاله يرتديه، وفي السابعة والنصف يذهب إلى مطعم غالانت أنديفر بلحية وحوارب كثة وعُدَّة التنكر كاملة... وبذلك يبدو هنري جازكوين على قيد الحياة في السابعة والنصف دون شك. بعد ذلك يغير شكله ثانية وبسرعة في أحد الحمامات، وينطلق بأقصى سرعة سيارته إلى ويمبلدون حيث يقضي سهرة لعب الورق: إنه عذر غياب كامل عن مسرح الجريمة.

نظر إليه بولينغتون وقال: ولكن ماذا عن ختم البريد على غلاف الرسالة؟

- آه، كان ذلك بسيطاً، فقد كان الختم ملطخاً قليلاً. لماذا؟
لأنه تم تغييره بواسطة سِنَاج المصباح من الثاني إلى الثالث من تشرين الثاني، ولم يكن المرء ليلاحظ هذا التزوير ما لم يكن يبحث عنه. وأخيراً كان هناك دليل آخر، الشحارير.

- الشحارير؟!

- «أربعة وعشرون شحوراً مشوية في فطيرة»... كما تقول الأغنية القديمة، أو قُل «التوت الأسود» بدل الشحارير السوداء إن

أردت أن تكون أكثر حرفية! لم يكن جورج ممثلاً قديراً بدرجة كافية رغم كل شيء. هل تذكر ذلك الرجل الذي طلى نفسه بالسواد لكي يمثل دور عطيل؟ إن ذلك النوع من الممثلين هو ما تحتاجه الجرائم أحياناً. لقد بدا جورج مثل خاله ومشى مثل خاله وتكلم مثل خاله ووضع لحية وحواجب مثل لحية خاله وحواجبه، ولكنه نسي أن «يأكل» مثل خاله! لقد طلب الأصناف التي يحبها هو، ومن المعروف أن التوت البري الأسود يغير لون الأسنان بينما كانت أسنان الرجل الميت ناصعة البياض. وحتى لو افترضنا بأن هنري جازكوين أكل توتاً أسود في المطعم تلك الليلة، فكيف لم يظهر ذلك في محتويات معدته؟ لقد سألت هذا الصباح وتأكدت أن معدته لم يكن فيها بقايا توت بري أسود. وبالإضافة إلى كل ذلك فقد كان جورج من الحماقة بحيث احتفظ باللحية وبباقي مستلزمات التنكر! لقد زرت جورج وضايقته مما أدى إلى انهياره واعترافه وانتهاء القضية. وبالمناسبة، كان قد عاد إلى أكل التوت البري بعد ذلك. لقد كان رجلاً نهماً لا همّ له سوى طعامه، ولا أحسب إلا أن نهمه سيؤدي به إلى حبل المشنقة، وما أظنني مخطئاً في ذلك.



أحداث كريسي

قصص قصيرة
من بطولة

الآنسة ماربل

القصص مختارة من مجموعتي

«القضايا الأخيرة للآنسة ماربل»

و«ثلاثة عشر لغزاً»

اغانا كريسي

ثلاثة عشر عُزاً

طُبعت للمرة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٣٢

ترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسون

صورة الغلاف مُستوحاة من قصة «سبائك الذهب»



للترجمة
والنشر

الأجyal

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النص الكامل لمجموعة أغاثا كريستي القصصية
المنشورة أول مرة عام ١٩٣٢ بعنوان

The Thirteen Problems

Copyright Agatha Christie Mallowan 1932

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بآية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الخامسة

٢٠٢٠

الفصل الأول

منتدى الثلاثاء

- أَلْغَازٌ لَمْ تُحَلَّ!

نفخ ريموند وست سحابة من الدخان وكرر الكلمات بشيء من السرور الواعي المتعمد: أَلْغَازٌ لَمْ تُحَلَّ!

نظر حوله راضياً. كانت الغرفة قديمة ذات أعمدة سوداء عريضة تمتد تحت سقفها، وقد فُرشت بأثاث من النوع الجيد القديم الذي يلائمها، ومن هنا جاءت نظرة الاستحسان في عيني ريموند وست.

كان ريموند وست يمتهن الكتابة، ويحب أن يكون في أجواء لا يعيبها أو ينتقص منها شيء. وقد كان بيت خالته جين ماربل يسره دوماً باعتباره أفضل إطار لشخصيتها.

نظر إليها حيث تجلس أمام الموقد منتصبية الجذع في كرسي ضخم وثير: كانت ترتدي ثوباً أسود مقصباً ضيقاً جداً عند الخصر، ينحدر -في الجزء الأمامي منه- شريط زركشة متموجاً من كتفيها حتى الخصر، وقفازاً أسود موشحاً، وتضع فوق شعرها الثلجي الناعم

قبة سوداء مزركشة أيضاً. وكانت تحوُّك قطعة من الصوف الناعم الأبيض. أما عيناها الزرقاوان الغائمتان، الممتملتتان رقة ولطفاً، فقد استعرضتا بشيء من السرور ابن أختها وضيوفه. استقرت عيناها أولاً على ريموند نفسه ببهجته وانطلاقه، ثم انتقلتا إلى جويس ليمبريه الفنانة ذات الشعر الكثيف الأسود والعينين الخضراوين الغريبتين، ثم انتقلت عيناها إلى ذلك الرجل المتزين الذي عركته الحياة السير هنري كليذرنغ. وكان في الغرفة شخصان آخران: الدكتور بيندر، رجل الدين الكهل، والسيد بيثريك المحامي، وهو رجل ضئيل الجسم، يضع نظارات ينظر من فوقها لا من خلالها.

أولت الآنسة ماربل لحظات انتباه قصيرة لكل هؤلاء ثم عادت إلى حياكتها وعلى شفيتها ابتسامة رقيقة.

أطلق السيد بيثريك تلك النحنة الجافة التي يبدأ بها كلامه دوماً وقال: ما هذا الذي تقوله يا ريموند؟ ألغازٌ لم تُحل؟ هاه... ماذا عن تلك الألغاز؟

قالت جويس ليمبريه: لا شيء، إن ريموند يحب فقط صوت هذه الكلمات، ويحب سماع نفسه وهو يقولها.

رماها ريموند بنظرة تأنيب جعلتها ترمي برأسها إلى الخلف وتضحك، ثم قالت للآنسة ماربل: إنه دجال، أليس كذلك يا آنسة ماربل؟ أنا واثقة أنك تعرفين ذلك.

ابتسمت لها الآنسة ماربل بلطف دون الإجابة بشيء.

قال الكاهن بتجهم: الحياة نفسها لغز لم يُحل.

اعتدل ريموند في جلسته ونفض لفافته بحركة مفاجئة وقال:
ليس هذا ما أعنيه. لم أكن أُلقي حِكْماً فلسفية، بل كنت أفكر بحقائق
واقعية مجردة ملء السمع والبصر. حقائق وقعت ولم يفسرها أحد أبداً.

قالت الآنسة ماربل: أعرف يا عزيزي بالضبط أنواع الأمور التي
تعنيها. السيدة كاروثرز -مثلاً- تعرضت لتجربة بالغة الغرابة بالأمس،
فقد اشترت أوقيتين من الرُبيان المتتقى من محل إلبوت، ثم مرت
على محلين آخرين، وعندما وصلت إلى البيت وجدت أن الربيان
لم يكن معها. عادت إلى المحلين اللذين مرت بهما، ولكن الربيان
اختفى تماماً. هذا يبدو لي أمراً ملفتاً جداً للنظر.

قال السيد كليذرغ بتجهم: قصة مريبة جداً.

قالت الآنسة ماربل وقد احمرت وجنتاها قليلاً من الانفعال:
توجد طبعاً أنواع عديدة من التفسيرات الممكنة لهذا الأمر، إذ ربما
كان أحدهم مثلاً...

قاطعها ريموند وست قائلاً بشيء من السرور: يا خالتي العزيزة!
أنا لم أقصد هذا النوع من الأحداث التي تقع في القرى، بل كنت
أفكر بجرائم القتل والاختفاء، بمثل تلك الجرائم التي يمكن للسير
هنري أن يحدثنا عنها لساعات طوال إن أراد ذلك.

قال السير هنري بتواضع: ولكنني لست ممن يسهبون في
الحديث عن مهنهم؛ أنا لا أتحدث عن مهنتي أبداً.

كان السير هنري كليذرغ حتى وقت قريب أحد كبار الضباط
في شرطة سكتلنديارد. وقالت جويس ليمبريه: أحسب أن كثيراً من

جرائم القتل وغيرها لم يجد له الشرطة حلاً أبداً.

قال السيد بيثيريك: تلك حقيقة يعترفون بها كما أظن.

قال ريموند وست: إنني أتساءل: ترى أي نوع من الأدمغة هو الذي ينجح حقاً في كشف الألغاز؟ فالمرء يشعر دوماً بأن الافتقار إلى الخيال كثيراً ما يعوق رجل الشرطة العادي.

قال السير هنري برود: تلك هي وجهة نظر الرجل العادي.

علقت جويس مبتسمة: إذا احتاج المرء إلى علم النفس والخيال فليلجأ إلى الكتاب...

ثم قامت بانحناءة ساخرة لريموند، ولكنه ظل جدياً وقال بتجهم: إن فن الكتابة يعطي المرء بصيرة تنفذ إلى النفس البشرية، وربما رأى المرء عندها دوافع من شأن الرجل العادي أن يغفلها.

قالت الآنسة ماربل: أعرف يا عزيزي أن كتبك تدل على ذكاء لامع، ولكن هل تعتقد حقاً أن الناس كريهون إلى تلك الدرجة التي تصورها في كتاباتك؟

- يا خالتي العزيزة! احتفظي بمعتقداتك لنفسك، فليس لي أنا أن أفندها لا سمح الله.

قالت الآنسة ماربل وهي تقطب جبينها قليلاً وتعد الغرزات في الصوف الذي تحوكة: ما أعنيه هو أن الكثير من الناس لا يمكن تصنيفهم بين صالح وطالح كما يبدو لي، بل يكونون -ببساطة- سدّجاً سخفاء.

أصدر السيد بيشريك نحنحته الجافة ثانية وقال: ألا ترى يا ريموند أنك تولي أهمية كبيرة للخيال؟ إن الخيال صفة خطيرة جداً كما نعرف نحن المحامين حق المعرفة. إن القدرة على غربة الأدلة بموضوعية وأخذ الحقائق والنظر إليها كحقائق هو ما يبدو لي الطريقة المنطقية الوحيدة للوصول إلى الحقيقة. ويمكنني أن أضيف -من واقع خبرتي- أنها أيضاً الطريقة الوحيدة الناجحة.

صاحت جويس وهي تقذف برأسها إلى الخلف بسخط: ياه! أراهن أن بوسعي أن أغلبكم جميعاً في هذه اللعبة، فأنا لست امرأة فقط (ولكم أن تقولوا ما تشاؤون، ولكن للمرأة حذساً لا يملكه الرجل) بل إنني فنانة أيضاً. أنا أرى أشياء لا ترونها أنتم، كما أنني -بحكم عملي فنانة- خبرت كل أنواع الناس وظروفهم. إنني أعرف الحياة بشكل لا يمكن للآنسة الحبيبة ماربل أن تعرفه وهي تعيش في هذه القرية الصغيرة.

قالت الآنسة ماربل: ربما كنت على حق يا عزيزتي، ولكن أموراً شديدة الإيلام والإزعاج تحدث في القرى أحياناً.

ابتسم السيد بيندر وقال: أيمكن لي أن أتكلم؟ أعلم أن سمة هذه الأيام هي التصغير من شأن رجال الدين، ولكننا نسمع أشياء ونعرف جانباً من الشخصية الإنسانية يشكل كتاباً مبهماً للآخرين.

قالت جويس: حسناً، يبدو لي أننا نشكل تجمعاً واسع التمثيل. ماذا لو شكلنا منتدى؟ ما هو اليوم... الثلاثاء؟ سوف نسميه «منتدى الثلاثاء». سنلتقي كل أسبوع، ويطرح كل عضو منا مشكلة بدوره... لغزاً يكون قد عرفه شخصياً وعرف حله بالطبع. لنر... كم عددنا

نحن؟ واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة. ينبغي لنا أن نكون ستة.

قالت الآنسة ماربل بابتسامة عريضة: لقد نسيّتي يا عزيزتي.

فوجئت جويس قليلاً ولكنها أخفت ذلك بسرعة وقالت: سيكون ذلك رائعاً يا آنسة ماربل، لم يخطر لي أنك مهتمة باللعبة.

قالت الآنسة ماربل: أظنها ستكون ممتعة جداً، لا سيما بحضور العديد من السادة الأذكىاء كهؤلاء. أخشى أن لا أكون ذكية شخصياً، ولكن العيش طوال هذه السنين في قرية سينت ميري ميد يعطي المرء بصيرة نافذة بالطبيعة الإنسانية.

قال السير هنري بلباقة: أنا واثق أن مساهمتك ستكون قيّمة جداً.

سألت جويس: من الذي سيبدأ؟

قال السيد بيندر: لا أظننا سنختلف في ذلك، فعندما نحظى بهذا الحظ العظيم في وجود رجل بارز بيننا مثل السير هنري...

ترك جملته دون إنهاؤها وانحنى بلباقة باتجاه السير هنري. بقي السير هنري ساكناً للحظات، ثم تنهد أخيراً وأعاد شبك ساقيه وبدأ حديثه: من الصعب قليلاً عليّ اختيار ذلك النوع تحديداً من الألغاز التي تريدونها، ولكن أظن أنني أعرف حالة تناسب هذه الخصائص بشكل رائع. ربما كنتم قد رأيتم ذكرّاً لتلك القضية في الصحف قبل عام مضى، وقد تم في حينها حفظ القضية باعتبارها لغزاً لم يُحل، ولكن الحل وقع بين يدي قبل عدة أيام.

إن حقائق القضية بسيطة جداً: ثلاثة أشخاص يجلسون لتناول

عشاء يحتوي -فيما يحتويه- على جراد البحر المعلّب. وفي وقت لاحق من تلك الليلة يقع الثلاثة مرضى، ويتم استدعاء طبيب على وجه السرعة. يشفى اثنان من الثلاثة ويموت الثالث.

أطلق ريموند آهة استحسان فيما مضى السير هنري قائلاً: وكما قلت فإن الحقائق بصيغتها تلك كانت بسيطة جداً. فقد عُزيت الوفاة إلى التسمم الغذائي وأصدرت شهادة بهذا المعنى ودُفن الضحية حسب الأصول. ولكن الأمور لم تقف عند هذا الحد.

أومأت الأنسة ماربل برأسها تفهماً وقالت: انتشرت الأقاويل كما أظن، فهي عادة ما تنتشر.

مضى السير هنري قائلاً: والآن عليّ أن أصف شخصيات هذه المأساة. سوف أسمى الزوج وزوجته السيد والسيدة جونز، ومرافقة الزوجة الأنسة كلارك. كان السيد جونز بائعاً جوالاً كثير السفر لشركة تصنع الأدوية، وكان رجلاً وسيماً بطريقة مذهلة خشنة، في نحو الخمسين من عمره. وكانت زوجته امرأة عادية تقريباً في نحو الخامسة والأربعين من عمرها. أما المرافقة، الأنسة كلارك، فقد كانت امرأة في الستين من عمرها، بدينة ظاهرة البهجة ذات وجه مُحَمَّر دائم الابتسام. بوسعكم القول أن أياً منهم لم يكن شخصية بالغة الأهمية.

وقد بدأت المتاعب بطريقة غريبة جداً. كان السيد جونز مقيماً في الليلة التي سبقت الحادثة في فندق صغير في مدينة بيرمنغهام، وتصادف أن كان الورق النشاف المستخدم لتنشيف الحبر قد وُضع في آلة التنشيف حديثاً في ذلك اليوم، وحدث أن خادمة الغرف لم تجد يومها شيئاً تفعله أفضل من التسلي بدراسة ما هو منطبع على

ورقة النشاف أمام المرأة بعد أن كان السيد جونز يكتب رسالة هناك. بعد أيام من ذلك ذكرت الصحف خبر وفاة السيدة جونز عقب تناولها جراد البحر المملب، وعندها قامت خادمة الغرف بالإفشاء لزملائها الخدم بالكلمات التي فكّت رموزها على ورقة النشاف. وكانت الكلمات كالتالي: "معتمدٌ تماماً على زوجتي... عندما تموت... المئات والألوف...".

ولعلكم تذكرون أن قضية قد شاعت مؤخراً عن رجل سمّ زوجته. وهكذا لم يتطلب الأمر الكثير حتى يلتهب خيال أولئك الخدم، فقل إن السيد جونز قد خطط لقتل زوجته ليُريث المئات والألوف من الجنيّهات! وحدث أن إحدى الخادّمات كان لها أقرباء في البلدة الصغيرة التي يعيش فيها جونز، فكتبت لهم وكتبوا لها بالمقابل. ويبدو أن السيد جونز كان مهتماً كثيراً بآبنة طبيب البلدة، وهي شابة جميلة في الثالثة والثلاثين من عمرها... وهكذا بدأت مهمّات الفضيحة.

بعد ذلك قدّمت عريضة لوزارة الداخلية للتحقيق في الأمر، وتلقت إدارة سكتلنديارد سيلاً من الرسائل المُعْغَلّة من التوقيع وكلها تتهم السيد جونز بقتل زوجته. يمكنني القول إننا لم نعتقد للحظة واحدة بوجود شيء في الأمر باستثناء أقاويل أهل القرية وثرثرتهم، ومع ذلك فقد صدر أمرٌ باستخراج الجثة. كانت القضية واحدةً من تلك القضايا التي تُلَفّها الأساطير الشعبية التي لا تعتمد على أي أساس قوي والتي ثبت -مع ذلك- أنها مبررة كل التبرير، فنتيجةً للتشريح تم العثور على كمية وافرة من الزرنيخ أصبح واضحاً معها أن المتوفاة قد ماتت نتيجة التسميم المتعمد. وكان على إدارة

سكتلنديارد أن تكشف -بالتعاون مع السلطات المحلية- كيف دُسرَ الزرنيخ ومن الذي دسه.

صاحت جويس: آه! هذا ما أحبه... إنها الجرائم الحقيقية!

أكمل السير هنري: حامت الشكوك طبعاً حول الزوج، إذ كان المستفيد من موت زوجته. ليس إلى حد مئات الألوف التي تخيلتها خادمة الفندق برومنسية شديدة، ولكن بمبلغ محترم يبلغ ثمانية آلاف جنيه. لم تكن له أموال خاصة غير ما يكسبه بعمله، وكان رجلاً ذا عادات لا تخلو من إسراف، مع ميلٍ لمجتمع النساء.

حققنا بكل عناية ممكنة في إشاعات ارتباطه بابنة الطبيب. ورغم أنه بدا واضحاً أن صداقة قوية كانت تجمع بين الاثنين في يوم ما إلا أن انفصلاً مفاجئاً جداً قد حدث قبل شهرين من ذلك، ويبدو أن أياً منهما لم ير الآخر منذ ذلك الحين. أما الطبيب نفسه (وهو كهل من النوع المستقيم البريء) فقد ذُهل لنتيجة التشريح. كان قد استدعي في منتصف الليل تقريباً لفحص الثلاثة فوجدهم جميعاً في حالة سيئة، وقد أدرك فوراً الحالة الخطيرة للسيدة جونز، وأرسل إلى المستودع الذي يحتفظ فيه بالأدوية من يحضر له بعض حبوب الأفيون بغية تخفيف الألم. وقد توفيت المرأة رغم كل جهوده، ولكنه لم يشك لحظة واحدة بأن في الأمر شيئاً خطيراً. كان مقتنعاً بأن وفاتها كانت بسبب نوع من التسمم الناشئ عن سوء حفظ المعلبات.

كان العشاء في تلك الليلة يتألف من جراد البحر المعلب والسلطة وحلوى الترايفل والخبز والجبن، ولسوء الحظ لم يبقَ شيء من جراد البحر، فقد أكلَ كله ورُميت العلبه. وقد حقق الطبيب مع

الخدّامة الشابّة غلاديس (وكانت في غاية القلق والانعراج وتبكي بانفعال) ووجد صعوبة في حملها على التركيز على الموضوع، ولكنها أكدت مراراً وتكراراً أن علبة جرّاد البحر لم تكن متنفخة أبداً وأن الجرّاد بدا لها بحالة جيدة تماماً.

كانت هذه هي الحقائق التي تعين علينا الانطلاق منها. إن كان جونز قد دسّ الزرنينخ لزوجته بدافع إجرامي فقد بدا واضحاً أن السم لم يوضع في أي من الأطعمة التي أكلت على العشاء، باعتبار أن الثلاثة شاركوا في تناول الوجبة. كما أنه كان علينا أن نلاحظ أمراً آخر مهماً، هو أن جونز نفسه لم يعد من بيرمنغهام إلاّ عندما كان طعام العشاء يؤتّى به إلى المائدة، بحيث إنه لم يكن ليجد فرصة للعبث بأي نوع من الأطعمة مسبقاً.

سألت جويس: وماذا عن مرافقة الزوجة؟ البدينة ذات الوجه البشوش؟

أوما السير هنري برأسه وقال: أؤكد لك أننا لم نتجاهل موضوع الأنسة كلارك. ولكن بدا لنا أن من المشكوك فيه أن يكون لها دافع للجريمة، فلم تترك لها السيدة جونز أي حصة في الإرث، ولم تستفد من وفاة مخدومتها إلاّ عناء البحث عن عمل جديد.

قالت جويس متأملة: يبدو أن هذا يبرّئ ساحتها.

أكمل السير هنري قائلاً: ولكن سرعان ما اكتشف أحد المفتشين العاملين معي حقيقة مهمة. فبعد العشاء في تلك الليلة نزل السيد جونز إلى المطبخ وطلب طبقاً من مزيج دقيق الذرة لزوجته التي

اشتكت من أنها ليست على ما يرام. وقد انتظر في المطبخ حتى انتهت غلاديس من إعداد المزيج، ثم حمله وصعد بنفسه إلى غرفة زوجته. وأعترف بأن ذلك بدا لنا حلاً للقضية.

أوماً المحامي برأسه وقال وهو يعدد على أصابعه: الدافع والفرصة، فبصفته بائعاً جوالاً لشركة أدوية يمكنه الوصول إلى السم بسهولة.

وأضاف القس: وهو رجل ضعيف الوازع الخلقي أيضاً.

كان ريموند وست يحدق إلى السير هنري ثم ما لبث أن قال: توجد ثغرة في مكان ما... لماذا لم تعتقلوا الرجل؟

ابتسم السير هنري بشيء من خيبة الأمل وقال: هذا هو الجزء المؤسف في القضية. كان كل شيء قد سار بشكل سلس حتى تلك النقطة، وها نحن نصل الآن إلى العقبات المفاجئة. لم يُقبض على جونز لأن الآنسة كلارك أخبرتنا عند التحقيق معها بأن السيدة جونز لم تأكل شيئاً من طبق مزيج دقيق الذرة، بل هي التي أكلته، أي كلارك نفسها. نعم، ويبدو أنها ذهبت إلى غرفة السيدة جونز كما هي عاداتها، وكانت السيدة جونز جالسة في سريرها وإلى جانبها الطبق، وقد قالت: "لا أشعر أنني على ما يرام يا ميلي، وهذا عقابٌ أستحقه إذ أكلت جراد البحر ليلاً. لقد طلبت من ألبرت أن يجلب لي بعضاً من مزيج دقيق الذرة، ولكنني -وقد جيء به إليّ الآن- لا أشعر أنني أشتهيهِ". وقد علقت الآنسة كلارك قائلة: "أمر مؤسف، خاصة وأنه محضّر بشكل جيد أيضاً وليست فيه أيّ كُتل. إن غلاديس طبخة رائعة حقاً. قليل من الفتيات من يستطعن تحضير مزيج دقيق

الذرة بشكل جيد في أيامنا هذه، وإنني أعلن أنني أشتهيه شخصياً، فأنا جائعة". وعندها أجابتها السيدة جونز: "أظنك فعلاً جائعة نتيجة وسائسك الغيبة".

توقف السير هنري ليعلق قائلاً: لا بد لي من أن أوضح أن الأنسة كلارك (وقد أفلقتها الزيادة في سمتها) كانت تتبع نظام حمية. وهذا هو ما عنته السيدة جونز بالسائس، فقد قالت لها: "هذا ليس جيداً بالنسبة لك يا ميلي، ليس جيداً بالفعل. إن كان الله قد خلقك سمينه فهذا يعني أنه أراد لك أن تكوني سمينه. كُلّي هذا المزيج فسوف يفيدك كثيراً".

وهكذا شرعت الأنسة كلارك في أكل المزيج... وأكلته كله بالفعل، وبذلك فإن قضيتنا ضد السيد جونز قد تهافتت تماماً. وعندما طُلب منه تفسير للكلمات التي كانت على ورقة النشاف أعطى تفسيراً فورياً جاهزاً، إذ قال إن الرسالة كانت جواباً على رسالة كتبها إليه أخوه في أستراليا يطلب منه مالا، وقد كتب لأخيه مشيراً إلى أنه معتمد كلياً على زوجته، وعندما تموت زوجته فإنه سيكون مسؤولاً عن المال وسيساعد أخاه إن أمكنه ذلك. وقد أعرب عن أسفه لعدم قدرته على المساعدة، ولكنه أشار إلى أن في العالم المئات والألوف من الناس ممن يعانون من نفس تلك الظروف المؤسفة.

قال الدكتور بيندر: وهكذا انهارت القضية؟

أجابه السير هنري: وهكذا انهارت القضية، فنحن لم نستطع المجازفة باعتقال جونز دون وجود ما يمكن الاعتماد عليه.

ساد بعض الصمت ، ثم قالت جويس : وهذه هي القصة كلها ،
أليس كذلك ؟

قال السير هنري : هذه هي القضية كما ظلت دون حل طوال
العام الماضي . أما الحل الحقيقي فهو في أيدي شرطة سكتلنديارد
الآن ، وربما قرأتم عنه في الصحف في غضون يومين أو ثلاثة .

قالت جويس بتأمل : الحل الحقيقي ... أمر محير . دعونا نفكر
جميعاً لخمس دقائق ثم نعود للكلام .

أوماً ريموند وست برأسه ونظر إلى ساعته ليبدأ التوقيت ،
وعندما انتهت الدقائق الخمس التفت إلى الدكتور بيندر وقال : أبدأ
في الكلام ؟

هز العجوز رأسه وقال : أعترف بأنني حائر تماماً . لا أملك إلا
أن أشعر بأن الزوج هو الطرف المذنب ، ولكنني لا أستطيع تصور
الطريقة التي اتبعها للقيام بذلك . كل ما يمكنني قوله هو أنه دس لها
السم دون شك بطريقة ما ، مع أنني لا أستطيع تخيل الكيفية التي
أمكن من خلالها اكتشاف تلك الطريقة بعد مرور كل هذا الوقت .

- جويس ؟

قالت جويس جازمة : إنها المرافقة ، المرافقة بالتأكيد ! كيف
لنا أن نعرف أي دافع كان يدفعها ؟ إن كونها عجوزاً وسمينة وبشعة
لا يعني أنها لم تكن تحب جونز شخصياً . وربما كانت تكره الزوجة
لسبب آخر مختلف . فكروا في مهنة المرافقة ... إن عليها دوماً أن
تكون مسلية وأن تبدي الموافقة وتكتم مشاعرها وتكبح رغباتها . وفي

يوم ما لم تعد قادرة على تحمل ذلك، وعندها قتلتها. ربما كانت قد وضعت السم في ذلك الطبق، وربما كانت كل تلك القصة عن تناولها لمزيج دقيق الذرة كذباً.

- السيد بيثيريك؟

وضع المحامي رؤوس أصابعه بعضها مقابل بعض بشكل يدل على الاحتراف وقال: لا أكاد أستطيع الإدلاء برأي، لا أكاد أستطيع ذلك بالاعتماد على هذه الحقائق.

قالت جويس معترضة: ولكن لا بد لك من إبداء رأي... لا يمكنك أن تحتفظ بحكمك وتقول «دون إضرار بأحد» وتمثل علينا دور القانوني. لا بد أن تلعب اللعبة.

قال السيد بيثيريك مسائراً: وفقاً لهذه الحقائق لا يبدو لي ما يمكن أن يقال. إن رأيي الشخصي (وقد خبرت مع الأسف كثيراً من هذه القضايا) أن الزوج هو المذنب. ويبدو أن التفسير الوحيد الذي يمكن أن يغطي كل الحقائق هو أن الأنسة كلارك تسوّت على الزوج لسبب أو لآخر. ربما كان بينهما ترتيب مالي ما، ربما أدرك بأنه سيكون موضع شبهة، وربما وافقت هي - وهي لا ترى أمامها إلا مستقبل الفقر - على الإدلاء بقصة تناولها للمزيج مقابل مبلغ كبير من المال يُدفع لها سراً. فإن كانت تلك هي الحالة فهي حالة شاذة جداً بالطبع، حالة شاذة حقاً.

قال ريموند: أنا أختلف معكم جميعاً. لقد نسيتم العامل الأهم في هذه القضية؛ ابنة الطبيب. سأخبركم بتحليلي للقضية. لقد كان

جراد البحر المقلب فاسداً، وهذا يفسر أعراض التسمم. وقد أرسل في طلب الطبيب فوجد السيدة جونز تعاني من ألم عظيم لأنها أكلت من الجراد أكثر من الآخرين، وبعث -كما أخبرتنا يا سير هنري- في طلب حبوب أفيون. لم يذهب بنفسه، بل أرسل في طلبها. من الذي سيعطي الرسول حبوب الأفيون؟ ابنته كما هو واضح. إنها تحب جونز، وفي تلك اللحظة تنشط في نفسها كل الغرائز السيئة وتدرّك أن في يدها وسيلة تحريره. وهكذا فإن الحبوب التي أرسلتها تحتوي على الزرنينخ الأبيض الصرف. هذا هو تصوري لحل القضية.

قالت جويس بلهفة: والآن أخبرنا بالحل يا سير هنري.

ولكن السير هنري ردّ قائلاً: انتظري لحظة، فالآنسة ماربل لم تتكلم بعد.

كانت الآنسة ماربل تهز رأسها بأسى، ثم قالت: يا إلهي! لقد أغفلتُ غرزة أخرى من الصوف، فقد كنت منسجمة جداً مع هذه القصة. إنها قضية محزنة، محزنة جداً. إنها تذكّرني بالعجوز السيد هارغريفز الذي كان يعيش في أعلى المرتفع هناك. لم تراود زوجته أية شكوك أبداً حتى توفي تاركاً كل أمواله لامرأة كان يعيش معها وله منها خمسة أولاد. كانت المرأة خادمة عندهم في وقت من الأوقات، وكانت السيدة هارغريفز تصفها دوماً بأنها فتاة رائعة، يُعتمد عليها كثيراً في قلب الفرشات كل يوم وتنظيف ما تحتها، باستثناء أيام العطلات طبعاً. وكان السيد هارغريفز قد أسكن تلك المرأة في بيت في البلدة المجاورة واستمر في منصبه كأحد رعاة الكنيسة مؤدياً كل طقوسها.

قال ريموند بنفاد صبر: يا خالتي العزيزة جين! ما علاقة هارغريفز الذي شبع موتاً بالقضية؟

ردّت الآنسة ماربل: لقد جعلتني هذه القصة أفكر فيه فوراً، فالحقائق متشابهة كثيراً، أليس كذلك؟ أحسب أن الفتاة المسكينة قد اعترفت الآن، وهذا ما جعلكم تعرفون يا سير هنري.

سأل ريموند وست: أي فتاة؟! يا خالتي العزيزة، ما الذي تتكلمين عنه؟

- عن تلك الفتاة المسكينة، غلاديس، التي انفعلت كثيراً عندما تكلم معها الطبيب. وحقاً لها أن تنفعل... المسكينة! أرجو أن يُشَقَّ ذلك الشرير جونز بعدما جعل من تلك الفتاة المسكينة قاتلة. أحسب أنهم سيشتقونها هي الأخرى... مسكينة!

قال السيد بيثريك: أظن أنك قد أسأت فهم الموضوع قليلاً يا آنسة ماربل.

ولكن الآنسة ماربل هزت رأسها بعناد والتفتت إلى السير هنري قائلة: إنني على صواب، أليس كذلك؟ بدت القضية واضحة تماماً بالنسبة لي. ألا تعلمون أننا نسمي تلك الحبيبات الملونة التي نزين بها الحلوى «المئات والألوف»؟ أضيفوا إلى هذا مسألة الترايفل على العشاء. لا يمكن للمرء إغفال ذلك.

صاح ريموند: ماذا بشأن المئات والألوف والترايفل؟

- إن الخدم عادة ما يضعون تلك الحبيبات التي نسميها «المئات والألوف» على حلوى الترايفل يا عزيزي؛ تلك الحبيبات

الملونة من السكر. عندما سمعتُ أنهم تناولوا الترايفل على العشاء وأن الزوج كان يكتب لشخص ما عن المئات والألوف ربطت بين الأمرين بالطبع. هناك كان الزرنيخ... في تلك الحبيبات. تركها مع الفتاة وطلب منها أن تضعها على الترايفل.

قالت جويس بسرعة: ولكن هذا مستحيل، فقد أكلوا جميعاً من الترايفل.

قالت الأنسة ماربل: آه، لا. لقد كانت المرافقة تتبع نظام حماية إن كنت تذكرين، والمرء لا يأكل حلوى كالترايفل عندما يتبع نظام حماية. وأظن أن جونز اكتفى بكشط تلك الحبيبات عن حصته من الحلوى وتركها في طرف طبقه. كانت فكرة ذكية، ولكنها فكرة شريرة جداً أيضاً.

تسمرت أعين الباقيين على السير هنري فقال بتمهل: أمر غريب جداً، ولكن الأنسة ماربل أصابت كبد الحقيقة فعلاً! لقد ورط جونز غلاديس، وكانت يائسة تقريباً. أراد إزاحة زوجته عن الطريق، وقد وعد غلاديس بأن يتزوجها عندما تموت زوجته. سمَّ حبيبات السكر وأعطاهما لها مع تعليمات حول كيفية استخدامها. لقد ماتت غلاديس قبل أسبوع، وقد مات مولودها عند الولادة وهجرها جونز ليذهب إلى امرأة أخرى. وعندما كانت تُحتَضَر اعترفت بالحقيقة.

ساد الصمت لوضع لحظات ثم قال ريموند: حسناً يا خالة جين، هذه واحدة لصالحك. لا أعرف كيف تمكنت من الوصول إلى الحقيقة، فما كنتُ لأفكر بالخدمة الصغيرة باعتبارها متورطة في الجريمة!

قالت الأنسة ماربل : صحيح يا عزيزي ، ولكنك لا تعرف من الحياة بقدر ما أعرف. إن رجلاً من شاكلة جونز هذا يكون قاسياً وذا نزوات. فور سماعي أن فتاة جميلة كانت في البيت شعرت بالثقة بأنه لا يمكن أن يتركها لشأنها. الأمر كله مؤلم مزعج وليس الكلام عنه بالشيء المريح. لا يمكنني أن أصف لك الصدمة التي تعرضت لها السيدة هارغريفز واللغط العظيم الذي أثاره ذلك في القرية!

* * *

اغانا كريسي

القضايا الأخيرة للأنسة مازيل

طُبعت للمرة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٧٩

ترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسون

صورة الغلاف مُستوحاة من قصة «دمية الخياطة»



للترجمة
والنشر

الأجyal

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لمجموعة أغاثا كريستي القصصية
المنشورة أول مرة عام ١٩٧٩ بعنوان

Miss Marple's Final Cases

Copyright © Agatha Christie Ltd 1979

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بآية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة

٢٠٢٠

مقدمة

بقلم: محرر الطبعة العربية

هذه المجموعة من القصص القصيرة ظهرت بهذا الاسم بطبعتها الإنكليزية للمرة الأولى في عام ١٩٧٩ ، أي بعد نحو ثلاث سنوات من وفاة مؤلفتها أغاثا كريستي. وهي تضم مجموعة من القصص القصيرة التي نشرتها أغاثا في وقت مبكر في بعض المجلات الأسبوعية في إنكلترا، في الفترة بين عام ١٩٣٤ وعام ١٩٥٩ ، وإن كنا لا نعرف تاريخ نشر كل منها بشكل دقيق.

وقد عمد الناشر الإنكليزي إلى جمعها بهذا الشكل وإصدارها بهذا الاسم لتكون في متناول قراء أغاثا كريستي الذين لا سبيل إليهم للوصول إلى تلك المجلات القديمة التي نُشرت القصص فيها. ولعل اسم: «قضايا الآنسة ماربل الأخيرة» قد وُضع للدلالة على أن هذه هي المرة الأخيرة التي سيرى فيها القراء قصصاً لم يقرأوها للمؤلفة فيما هو منشور من مجموعات قصصية من قبل، وإن يكن التعبير غير صحيح من حيث أن الإيحاء المباشر لكلمة «الأخيرة» سيقود القارئ إلى الظن بأن

الآنسة ماربل ستموت في آخر هذه القصص (كما حدث لبوارو في روايته الأخيرة: «الستارة») وهذا غير صحيح، فهي قد كُتبت ونُشرت للمرة الأولى في الثلاثينيات والأربعينيات، وقد جاءت بعدها قصص قصيرة وروايات طويلة عديدة من بطولة الآنسة ماربل.

أما الملاحظة الأخرى فهي أن هذه المجموعة قد ضمت ثمانين قصص قصيرة، ورغم أن عنوان الكتاب هو «القضايا الأخيرة للآنسة ماربل» إلا أننا نجد أن الآنسة ماربل تظهر في ست من هذه القصص فقط، أما آخر قصتين فليستا من بطولتها، بل ولا هما من النوع العادي من قصص وروايات ألغاز الجريمة الذي تكتبه أغانا، وإنما من نوع آخر من «الألغاز الغريبة» مما كتبه في بعض الأحيان ولكنها لم تكثر منه (ومن هذا النوع أكثر القصص القصيرة في مجموعة «كلب الموت وقصص أخرى» التي ستصدر ترجمتها العربية مع صدور هذا الكتاب إن شاء الله).

إلا أننا لم نغير ترتيب هذه القصص أو عنوانها وأبقيناها كما صدرت في طبعتها الإنكليزية، وقد زدنا عليها مقدمة طويلة عن الآنسة ماربل لم تتضمنها الطبعة الإنكليزية، ونظن أن القارئ الذي تابع روايات وقصص الآنسة ماربل من قديم سيجد فيها متعة كبيرة، وكذلك القارئ الذي يتعرف على هذه العانس العجوز الفريدة للمرة الأولى.

* * *

فصل تمهيدي خاص بالطبعة العربية

الآنسة ماربل حياتها وعصرها

ملاحظة من محرر الطبعة العربية: لا بد لي من أن أشير -من باب الأمانة العلمية- إلى أن المعلومات التي تضمنها هذا الفصل قد أخذت كلها (بتصرف طفيف) من كتاب صدر في عام ١٩٨٥ بعنوان: «الآنسة ماربل، حياتها وأحداث عصرها» للمؤلفة الكندية آن هارت، وهي كاتبة لها عدد من القصص القصيرة والمسرحيات، ولها كتاب آخر عن الشخصية الأشهر التي ابتدعتها أغاثا كريستي عنوانه: «هيركيول بوارو، حياته وأحداث عصره».

قرية سينت ميري ميد

قد تكون الأنسة ماربل واحدة من أكثر الشخصيات الخيالية شهرة في التاريخ، فقد قرأ أخبار مغامراتها مئات الملايين من الناس وعرفوا عنها أدق التفاصيل: عن شخصيتها واهتماماتها وعلاقاتها الاجتماعية وطريقة تفكيرها، وغير ذلك مما لا يكاد الناس يعرفونه عن كثير من المشاهير الحقيقيين من الناس. ولكنها -بعد- لم تعش في عالم الواقع أبداً ولم تكن سوى «اختراع» أبدعه خيال أغاثا كريستي.

على أن أغاثا كريستي لم ت اخترع فقط صديقتنا الأنسة ماربل، بل هي قد اخترعت معها -أيضاً- القرية التي عاشت فيها، سينت ميري ميد، وكل السكان الذين عاشوا فيها.



تقع سينت ميري ميد -كما تخيلتها المؤلفة- في جنوب إنكلترا، بين بلدتي ماركيت بيسنغ ولوماوث، ولكننا لا نكاد نعرف عن تاريخها القديم أي شيء.





أما الخريطة التي حصلنا عليها للقرية فقد أخذنا تفصيلاتها الأساسية من رواية «جريمة في القرية» (التي نُشرت سنة ١٩٣٠) مع إضافات تخص منطقة التطوير حصلنا عليها من رواية «شرح في المرأة» (التي نُشرت سنة ١٩٦٢) وتفصيلات ثانوية إضافية من بعض الروايات الأخرى (مثل روايتي «جيب مليء بالحبوب» و«جثة في المكتبة»).

إنها قرية صغيرة متواضعة تتكون من الشارع العام الذي يمتد من محطة القطار إلى مقهى وفندق البلو بور (الخنزير الأزرق). وتطلّ على هذا الشارع بعض البيوت والمتاجر، ومن ضمنها بيت الأنسة ماربل ذاتها وإلى جواره بيتا الأنسة هارتنيل والأنسة وذربي. كما يتفرع عن هذا الشارع العام طريق يطل عليه بيت الكاهن وبيت الدكتور هيدوك وينتهي بيت برايس ريديلي، ومنه يتفرع طريق للمشاة يقود إلى منطقة التطوير. كما نجد طريقاً آخر يتفرع عن الشارع العام من جهة البلو بور ويمر من خلف بيوت الأنسة ماربل والأنستين وذربي وهارتنيل وصولاً إلى بيت الكاهن، حيث يلتقي مع طريق المشاة الذي يفضي إلى منطقة التطوير.

ومن هذا الطريق الخلفي يتفرع طريق صغير ينتهي بمنزل «أولد هول»، وهو أحد البيتين الكبيرين اللذين تحتضنهما القرية، أما الثاني فهو منزل «غوسينغتون هول» ويقع على بعد نحو ميل وربع الميل عن الشارع العام على طريق لانشام. وعلى ذلك الطريق نفسه تقع منطقة سكنية حديثة (أو كانت كذلك في

وقت ما) تضم عدداً من البيوت السكنية المتلاصقة ، وقد أنشئت في أواخر العشرينيات. وهي غير منطقة التطوير ، تلك المنطقة السكنية العصرية التي تضم عدداً من الأبنية التي ترتفع عليها هوائيات التلفزيون ، وقد أُقيمت في أوائل الستينيات في الطرف الآخر من القرية فوق الأراضي التي كانت -فيما مضى- مروجاً مخضرة رائعة.

منزل «غوسينغتون هول» بيت كبير فكتوري الطراز ، وقد أقامت فيه عائلة بان تري. وقد كان الكولونيل بان تري (ذو الوجه الأحمر والكتفين العريضتين) بمثابة وجيه المنطقة ، وقد بدا من أولئك المحافظين الذين يتابعون صحيفة التايمز ويدافعون بحماسة عن الإمبراطورية البريطانية! أما زوجته ، دولي ، فقد صارت أعز صديقات الأنسة ماربل. وبعد موت الكولونيل باعت دولي البيت وأبقت لنفسها الكوخ الصغير عند البوابة الشرقية لتقيم فيه. وقد اشترت المنزل الكبير ممثلة مشهورة اسمها مارينا غريغ وسكنته مع زوجها الخامس ، ولكن سلسلة من الجرائم لم تلبث أن أحاطت بهذا المنزل الفكتوري القديم (انظر التفصيلات في رواية «شرخ في المرأة»).

ولم يكن منزل «أولد هول» مختلفاً كثيراً عن البيت الكبير الآخر ، فقد كان -مثله- بيتاً كبيراً فكتورياً الطراز ، وكان محاطاً بالغابات من جهاته الثلاث. وقد أقامت فيه عائلة الكولونيل بروثيرو حتى مقتله (في رواية «جريمة في القرية») حيث عُرض للبيع بعد ذلك ، ولكنه استعصى على البيع لسنوات ، حتى تم

-في النهاية- تقسيمه إلى أربع شقق متساوية مع نظام مركزي لتسخين الماء، وتم تأجيره على هذه الحال (انظر قصة «قضية الخادمة المثالية» في هذه المجموعة: «القضايا الأخيرة للآنسة ماربل»).

على أن بيت الآنسة ماربل يبقى أهم بيت في القرية بالنسبة لنا، وهو يطل -كما رأينا قبل قليل- على الشارع العام للقرية فيما يمكن لنا أن نسميه موقعاً إستراتيجياً يمكن صاحبه من القيام بالمراقبة الدقيقة لكل ما يجري في القرية. والواقع أن هذا الدور لم تستأثر به الآنسة ماربل وحدها من دون جارتها اللتين تشغلان البيتين المجاورين: الآنسة هارتنيل والآنسة وذري، وكل منهما عجوز عانس مثلها، حتى لنجد مبرراً لهذا الاسم الذي نجده قد أطلق على العجائز الثلاث معاً في بعض الروايات: «الحرس القديم لقرية سينت ميري ميد». أما الكولونيل ميلتشيت (الذي صار واحداً من أشد المعجبين بفطنة وذكاء الآنسة ماربل) فقد قال ذات مرة عن هذه المجموعة من السيدات: "هؤلاء العجائز الثرثرات... وجبة الشاي وحديث الفضائح و«القليل والقال» يومياً في الرابعة والنصف من عصر كل يوم"، ثم يضيف في موقع آخر واصفاً القرية بأنها: "ذلك الجزء من العالم الذي يزدهم بالنساء العجائز أكثر من أي مكان آخر في الدنيا!"

وعلى الطرف الآخر من الشارع مقابل هذه البيوت الثلاثة تقع الكنيسة التي تعتبر نقطة تجمع لأفراد القرية. أما القس نفسه فقد كان بيته بعيداً عن الكنيسة بعض الشيء ويطل على

الشارع الصغير الذي يتفرع عن الشارع العام من أمام بيت السيدة ليسترينج. وقد أقام في هذا البيت (بيت القس) عدد من القسس الذين تناوبوا على القرية خلال الأعوام الخمسين التي عرفناها أثناءها، غير أن أشهر هؤلاء -بلا منازع- هو ليونارد كليمنت (الذي روى لنا قصة «جريمة في القرية») والذي اشتهر بشروده الدائم وبمشاكسات زوجته الشابة المخلصة غريزيلدا.

وفي هذا الشارع الصغير نفسه يقع بيت الدكتور هيدوك، وهو شخص له أهميته في حياة القرية عموماً وفي حياة الأنسة ماربل بشكل خاص، وقد وصفه القس كليمنت مرة بقوله: "إن هيدوك هو أفضل شخص أعرفه"، أما الكولونيل ميلتشيت فقال عنه أنه "شخص يوثق به، وأي شيء يقوله يمكن الاطمئنان إلى صحته".

وفي نهاية الشارع يقع منزل السيدة برايس ريديلي، وهي أرملة غنية متسلطة، ولم تكن بأقل أهمية من العوانس الثلاث في نشاط «نادي القيل والقال»! أما في أوله فيقع بيت السيدة ليسترينج المسمى ليتل غيتس (أي: البوابات الصغيرة)، وهو بيت صغير كان -في الماضي- ملكاً لجنرال متقاعد من الذين أمضوا جزءاً كبيراً من حياتهم العسكرية في الهند.

بقي لدينا اثنان من السكان المهمين في القرية، وهما المحامي ومدير البنك. أما محامي القرية فقد كان -لوقت طويل- السيد بيثيريك (الذي كان رجلاً ضئيلاً يضع نظارتين اعتاد النظر من فوقهما وليس من خلفهما!)، وقد خلفه ابنه، السيد بيثيريك

الصغير، بعد وفاته. وأما البنك فقد عرفنا له عدداً من المديرين على مر السنين، مثل السيد هودغسون (الذي سافر في رحلة بحرية ثم تزوج فتاة بعمر ابنته لا يعرف أحد من أين جاءت!)، والسيد إيد (وهو محافظ جداً، ولكن يبدو أنه مغرم بالمال بشكل فظيع!)، والسيد إيميت (الذي تزوج فتاة من طبقة مختلفة لم تنجح أبداً في التأقلم مع زوجات رجال المال الآخرين من أصدقاء زوجها).

وقد نزل بالقرية بعض الغرباء بين وقت وآخر، وكانوا يثيرون -دائماً- شهية «حرس القرية القديم» للتحري والبحث، وكانوا مادة دسمة في «نادي القيل والقال» السابق ذكره في معظم الأحيان. فمن هؤلاء الغرباء عالم الآثار الذي جاء إلى القرية للبحث عن آثار مزعومة في الأراضي والغابات الواقعة وراء منزل أولد هول (في رواية «جريمة في القرية»)، ومثله الشاب الذي يشتغل بالرسم، لورنس ريدنغ، والسيدة الغامضة، السيدة ليسترينج (وكلاهما يظهران في الرواية ذاتها). ومن هؤلاء الغرباء أختان من العوانس سكنتا شقة في منزل أولد هول بعد تقسيمه إلى شقق صغيرة متساوية (في قصة «قضية الخادمة المثالية» في هذه المجموعة من القصص القصيرة) والسيدة سيبلو التي جاءت للعيش في قرية سينت ميري ميد فوق لها حادث سنكتشف تفصيلاته في قصة «جريمة قتل بالمتري» في هذه المجموعة.

* * *

وعلى الجهة الأخرى من الشارع العام (وهي الجهة التي تقابل بيت الأنسة ماربل) تقع مجموعة من المتاجر الصغيرة.

أول هذه المتاجر هو محل بيع الأسماك، وقد عمل فيه في خدمة التوصيل إلى المنازل -في السنوات الطويلة التي عرفنا القرية خلالها- مجموعة من الشبان كان لهم اسم واحد دائماً، وهو «فريد»، ولكننا نعلم أن هذا الاسم قد حمله أكثر من شخص واحد، مثل فريد جاكسون (في «جريمة في القرية») وفريد تايلر (في «إعلان عن جريمة»)، وبعد ذلك بسنوات نجد شخصاً آخر بنفس الاسم يكون سبباً في ابتعاد خادمة الأنسة ماربل، غلاديس، عن القرية (في رواية: «جيب مليء بالحبوب»).

المحل التالي هو دكان اللحام، السيد ميردوخ، وقد دارت حوله إشاعات كثيرة في بعض الأوقات، ولكن كان الرأي الغالب أنه هو نفسه يشجع انتشار الشائعات عن دكانه.

بعد ذلك نجد المخبز الذي يملكه السيد غولدن، وقد كانت له ابنة طموحة اسمها جيسي، تركت القرية لتعمل مربية أطفال في لندن، ولم تلبث أن تزوجت ضابطاً من أولئك الضباط الذين عادوا من الهند.

ثم نجد دكان البقال، السيد بارنز، الذي كان الدكان المفضل للسيدات العجائز، وخاصة للأنسة ماربل، إذ أنه قد حافظ على شكله ولم يدخل عليه أي تحسين أو تطوير على مدى ثلاثين عاماً.

وأخيراً هناك مجموعة من المحلات الصغيرة التي كانت
الآنسة ماربل تتردد عليها وتستفيد من خدماتها، مثل دكان بيع
الصوف الذي تديره السيدة كري، ودكان الأجواخ الذي تخطط
فيه الآنسة ماربل ستائر بيتها، ومحل تزيين الشعر الذي تديره
السيدة جيمسون والذي تقص فيه الآنسة ماربل شعرها، وأخيراً
الخطاطة التي تقيم فوق مكتب البريد، الآنسة بوليت، والتي
سنقابلها في إحدى القصص القصيرة في هذه المجموعة.

وبالإضافة إلى هذه المجموعة من المتاجر الصغيرة التي
تقدم كل الخدمات اللازمة للقرية توجد في سينت ميري ميد
خدمة مهمة، وهي سيارات «إنش» للأجرة. وقد جاء هذا الاسم
من المؤسسة التي أنشأها السيد إنش في زمن قديم لنقل الركاب
بالأجرة، حين كانت الخدمة تُقدَّم بعربات الخيل (قبل اختراع
السيارات وانتشارها). ومنذ ذلك الحين بقي اسم «إنش» مرادفاً
لكلمة «سيارة الأجرة» بالنسبة لمجموعة السيدات العجائز في
القرية، وهو اسم نجده يتردد في بعض الروايات (مثل رواية
«شرح في المرأة»).

أما مكتب البريد فيقع على تقاطع الطريق مقابل الكنيسة،
وقد كان وصول الحافلة القادمة من بلدة متش بنهام في الساعة
الثانية والنصف من بعد الظهر كل يوم إلى مكتب البريد واحداً
من الأحداث اليومية المهمة في قرية سينت ميري ميد.

وعلى الطرف الآخر من التقاطع ذاته كان يوجد فندق
ومقهى القرية الوحيد، البلو بور، وقد ملكته أولاً عائلة بكنل، ثم

عائلة إموت، وكلا العائلتين عانت من بعض المتاعب العائلية، ولا سيما العائلة الثانية التي غرقت ابنتها روز في النهر الذي يمر من خلف الطاحونة (في قصة «الموت غرقاً» في مجموعة «ثلاثة عشر لغزاً»). وقد علمنا أن الكابتن ميلتشيت كان يجد في البلو بور مكاناً ملائماً لوجبة جيدة في سينت ميري ميد في الأوقات التي كان يضطر فيها للبقاء في القرية بسبب بعض الجرائم.

والآن نقطع الشارع العام إلى نهايته الأبعد لنصل إلى محطة القطار على الطرف الآخر من القرية، ومن هذه المحطة تنطلق القطارات إلى متش بنهام المجاورة ثم إلى لندن، وقد كانت تغادر القرية في الصباح الباكر أو في الثانية عشرة والرابع من بعد الظهر، أما رحلة العودة المفضلة فكانت تلك التي تصل في السادسة وخمسين دقيقة مساءً.



هذه هي بنية القرية الأساسية، وهي بنية تقليدية تشترك فيها كثير من القرى الإنكليزية الصغيرة، ولا نكاد نجد تغيراً جذرياً فيها على مر السنين. فبالرغم من الشكوى الدائمة التي نسمعها من الآنسة ماربل: "لم تعد قرية سينت ميري ميد المكان الذي عرفناه من قديم..."، إلا أن التغيرات الحقيقية لا تكاد تلمس. نعم، لقد صار السكان أكبر سناً، ولكن المجموعة الأصلية منهم بقيت هي ذاتها، مع أقل القليل من التغير، فقد توفيت الآنسة وذرربي -مثلاً- وسكن بيتها مدير البنك الجديد. والدكتور

هيدوك قد تقدم به العمر ولكن الأنسة ماربل ما زالت تستدعيه
لعلاجها كلما احتاجت طبيباً ولا تثق بطبيب سواه. ومصطفة
الشعر، السيدة جيمسون، قد أقدمت على تطوير ثوري لمجaraة
تغيرات العصر فوضعت على دكانها لوحة كُتب عليها: «مصطفة
الشعر ديانا»، ولكن المحل في داخله لم يتغير أبداً.

بل إن معدل وقوع الجرائم في قرية سينت ميري ميد لم
يتغير على مر السنين كذلك، فخلال نحو أربعين سنة وقعت
فيها ست عشرة جريمة، منها خمس بالسّم، واثنان بإطلاق النار
من مسدس، واثنان بالغرق، واثنان بالخنق، وخمس بوسائل
غير معلنة أو غير معروفة. وبالإضافة إلى هذه الجرائم عرفت
القرية محاولات فاشلة للقتل بالسّم أو بتهشيم الرأس، وخمسة
حوادث سطو مسلح، وسلسلتين من أعمال الابتزاز، وثمانى
جرائم اختلاس، وجنحاً واعتداءات أخرى متفرقة عديدة.

وبعد ذلك كله يقول ريموند وست، ابن أخت الأنسة
ماربل، واصفاً قرية سينت ميري ميد: "إنها كالمستنقع الراكد"،
فتجيبه الأنسة ماربل قائلة: "ولكن لا شيء أكثر ضجة وامتلاءً
بالحياة من نقطة ماء من مستنقع راكد إذا نظرت إليها تحت
ميكروسكوب!".

* * *

حياة الأنسة ماربل

"لقد وُلدت الأنسة ماربل وهي في نحو السبعين من عمرها، وهو سن غير موفق أبداً (كما هي الحال مع بوارو) لأنها كانت ستعيش معي لسنوات طويلة طويلة".

هذا ما كتبه أغاثا كريستي عن الأنسة ماربل في كتاب ذكرياتها، ولكن من أين استوحت أغاثا ملامح هذه الشخصية؟

تجيب هي نفسها -في موضع آخر من ذكرياتها- عن هذا السؤال: "الآنسة ماربل تشبه جدتي وصواحبها العجائز اللاتي كنت أقابلهن في بعض القرى حيث كنت أذهب للإقامة والزيارة وأنا طفلة صغيرة، ولكنها ليست نسخة مطابقة لجدتي على أية حال، فهي أصعب إرضاء بالتأكيد! على أن الذي تشتركان فيه أن كلاهما كانت ذات شخصية مرحة محبوبة، وأن كلاهما تتوقع دائماً «أسوأ ما في الطبيعة البشرية». لقد كانت جدتي كذلك دائماً، والغريب (وربما المفزع أيضاً) أنها كانت دائماً على صواب!".

وربما استوحت أغاثا كريستي شخصية الأنسة ماربل من

شخصية سابقة لها، وهي الأنسة كارولين أخت الدكتور شبارد (والتي رأيناها في «مقتل روجر أكرويد»، الرواية التي حققت الشهرة المبكرة لأغاثا كريستي والتي نُشرت قبل أربع سنوات من أول ظهور علني للآنسة ماربل). وهي شخصية ذات سمات خاص نراه من خلال وصف أخيها، الدكتور شبارد، الذي قال عنها: "إن شعار عائلة النمس - كما يقول السيد كبلنغ - هو: «اذهب وابحث»، ولئن تعيّن على كارولين أن تتخذ لنفسها شعاراً يمثلها فإنني أرى أن يكون صورة نمس متأهب يقف على قدميه ومخالب يديه في الهواء، ويمكن للمرء حذف الكلمة الأولى من الشعار حيث تستطيع كارولين أن تجد الأشياء وهي جالسة في بيتها مطمئنة. لا أعرف كيف تقوم بذلك، لكن هذا ما يحدث. وأشكّ في أن الخدم والباعة يشكّلون طاقم استخباراتها، وهي عندما تخرج من البيت لا تخرج لتجمع المعلومات ولكن لتشرها، وهي خبيرة مذهلة في هذا المجال أيضاً".



أفراد العائلة

لم نخبرنا الآنسة ماربل بالكثير عن أمها وأبيها، سوى أننا نمر بذكر عابر لهما وأيضاً لجدهتها أحياناً هنا أو هناك، فقد حصل -مثلاً- أن عاد أبوها من باريس ذات مرة وقد اشترى بعض التحف البرونزية من معرضها الكبير. وقد علمنا أن أمها وجدّتها زارتا باريس كذلك: "ذهبنا لشرب الشاي في فندق الأليزيه،

ونظرت جدتي حولها ملياً ثم قالت فجأة: كلارا... أظن أنني الوحيدة التي تضع على رأسها هذه القلنسوة المضحكة (وهي قبعة ذات خيط يُربط تحت الذقن تشبه تلك التي تضعها البنات الصغيرات)! وقد كانت فعلاً كذلك، وما أن عدنا من باريس حتى حزمت كل ما تملكه من هذا النوع من القبعات وتخلصت منها جميعاً".

وقد كان لأُمها وجدّتها دور في تلقينها الكثير من الأفكار والمثل التي حملتها في حياتها من بعد، مثل أن "السيدة الحقيقية لا تظهر عليها مشاعر الصدمة أو المفاجأة أمام الناس"، و"هي تتماسك أمام الناس وتظهر بالمظهر اللائق مهما تكن حقيقة مشاعرها ونفسياتها"، كما أن السيدة الحقيقية هي تلك التي "تعرف واجباتها ولا تقصر في أدائها أبداً".

بعد ذلك تحدثنا الآنسة ماربل عن المناسبات التي كانت تجمع أفراد الأسرة الكبيرة، وهكذا نتعرف إلى عمتها الكبرى فاني، وقد أخبرت الآنسة ماربل ذات مرة وهي في السادسة عشرة من عمرها أن "الصغار يحسبون أن الكبار مغفلون، أما الكبار فإنهم يعلمون أن الصغار كذلك!". كما نتعرف إلى عمتها الأخرى هيلين التي "وصلت وهي تضع على رأسها قلنسوة... ربما لأنها لم تذهب إلى باريس قط!". وكذلك نتعرف إلى عمة لا نعرف اسمها ولكن ما يميزها أنها قد نجت من خمسة حوادث تحطمت فيها سفن كانت على متنها. وأخيراً نتعرف على تلك العمة (التي لا نعرف اسمها أيضاً) والتي كانت تملك «حاسة

شم» خارقة "تدرك بها متى يتحدث الناس بالأكاذيب!".

كما نتعرف إلى بعض أعمامها: العم الكبير ثوماس، الأدميرال المتقاعد الذي يعيش في منزل أنيق في ريتشموند. والعم هنري، ذلك الذي عرفنا أنه "ذو مقدرة غير عادية على التحكم بنفسه" وأنه "كان يخبئ مبالغ من المال وراء بعض الكتب في مكتبته".



الطفولة والشباب

على الرغم من أن الآنسة ماربل قد ولدت في روايات أغاثا كريستي في سن يتراوح بين الخامسة والستين والسبعين، إلا أننا قد حصلنا على بعض المعلومات عن طفولتها المبكرة من إشارات متناثرة في عدد من الروايات. فقد كانت ذات ذاكرة قوية حتى لتتذكر لون ورق الجدران في غرفة الحضانة، وقد تم تبديل هذا الورق وهي في الثالثة من عمرها (كما تقول). وقد شاركتها غرفة الحضانة هذه أختُ لها، وتلقت الفتاتان كلتاهما تعليمًا جيدًا بمستوى تلك الأيام.

وحين كانت في الرابعة عشرة تلقت منحة عظيمة حين سُمح لها بمرافقة عمها ثوماس وعمتها هيلين إلى لندن، حيث أقاموا في فندق بيرترام. وقد بقيت ذكريات تلك الرحلة في خيال الآنسة ماربل لسنوات طويلة بعد ذلك، وكانت تتذكرها -على الدوام- على أنها "أعظم عطلة تمتعت بها قط".

وفي نحو السادسة عشرة أرسلت الأنسة ماربل إلى مدرسة داخلية في فلورنسا، وهناك التقت بأختين أميركيتين اسمهما روث وكاري لويز، وقد جمعتها بهما صداقة استمرت إلى آخر العمر، حتى إن روث قد استعانت بها بعد خمسين سنة لعلاج مشكلة مع أختها كاري لويز (انظر رواية «خداع المرايا»).

والآنسة ماربل لم تتزوج أبداً، ولكنها عرفت في شبابها شاباً كادت تتزوج به، وقد تذكرته ذات يوم: "جين ماربل... الشابة الممتلئة بالحيوية. لقد كانت سخيفة في بعض الأوقات! ذلك الشاب اللطيف... ماذا كان اسمه؟ يا إلهي! حتى اسمه لا تكاد تذكره الآن. لقد كانت أمها حكيمة حين قاومت ذلك الميل بكل قوتها، فلقد قابلته بعد سنوات فوجده شاباً فظيماً فاشلاً. أما في الوقت الذي حالت أمها بينهما فقد غرقت في الأسى حتى لتبلل وسادتها بالدموع ليلة بعد ليلة لمدة أسبوع على الأقل". ومرة أخرى تعرفت في إحدى الحفلات إلى شاب بدا لطيفاً، ولكنها لم تلبث أن وجدته "غيباً كسولاً، بل في الغاية القصوى من البلادة والغباء".

* * *

السنوات اللاحقة

لقد أشارت الأنسة ماربل غير مرة -وهي في السبعينيات والثمانينيات من عمرها- إلى طفولتها المبكرة، ولكنها لم تذكر أبداً تذكر شيئاً عن السنوات التي تلت ذلك وحتى تقدمها في

السن. ولعلنا نفهم من جملة عابرة قالتها في إحدى المناسبات أنها قد قامت على رعاية والديها المسنين وتمريضهما في آخر عمرهما: "بسبب الخبرة الطويلة في التمريض كانت الأنسة ماربل تشد - بشكل عفوي وتلقائي - ملاءة السرير جيداً وتطويها تحت الفرشة". فهل كانت تلك «الخبرة الطويلة في التمريض» مع والديها؟ ربما.

وهكذا نفقز مع الأنسة ماربل من طفولتها إلى الوقت الذي بقيت فيه عجوزاً مضى كل من تعرفه من الناس. وذات يوم تعترف لشخص يعاني من الوحدة: "نعم، أعرف ما تعنيه... حين يبقى المرء وحيداً بعد رحيل آخر من يشاركه الذكريات. إن لي الآن أبناء وبنات أخت ولي أصدقاء ظرفاء، ولكن أياً منهم لا ينتمي إلى الأيام القديمة! لقد بت وحيدة منذ بعض الوقت...".

هذه هي الأنسة ماربل، عجوز في نحو السبعين من عمرها، وقد مات أبواها منذ زمن طويل، وكذلك أعمامها وعماتها، وهي تعيش في بيت فكتوري لطيف (لعلها اشترته بمال تركه لها أبوها الراحل) في قرية سينت ميري ميد الهادئة.

إنها العشرينيات، أو لعلها الثلاثينيات، وهي على وشك البدء بمغامرات التحري والبحث عن الجرائم!

* * *

سجل الأنسة ماربل

أول ظهور نعرفه للأنسة ماربل كان في رواية «جريمة في القرية» في سنة ١٩٣٠ ، أما آخر ظهور لها ففي رواية «انتقام العدالة» سنة ١٩٧١. وهكذا صحبنا الأنسة ماربل في تحرياتها ومغامراتها لمدة واحد وأربعين عاماً.

لقد قدمت لنا رواية «جريمة في القرية» الأنسة ماربل بالصورة التي عرفناها بها من بعد ، وكذلك قدمت لنا القرية التي عاشت فيها ، سينت ميري ميد ، وعدداً كبيراً من الناس الذين عاشوا في تلك القرية. ومن هنا تكتسب هذه الرواية أهمية خاصة بالنسبة لمحبي الأنسة ماربل وقرّاء قصصها.

ولعل الرواية التالية في السياق التاريخي هي «جثة في المكتبة» (التي نُشرت عام ١٩٤٢). وهي لم تصدر بعد «جريمة في القرية» مباشرة ولكنها تبدو كذلك في تسلسل الأحداث ، فقد انتهت تلك الأخيرة وغريزيلدا تخبر زوجها ، الكاهن كليمنت ، أنها حامل ، وفي «جثة في المكتبة» نجد وليدها وقد بدأ يحبو على الأرض ، مما يدلنا على أن نحو سنة كانت قد انقضت منذ

عُثر على جثة رجل قتيل في بيت الكاهن حين عُثر -هذه المرة- على جثة في غرفة المكتبة بمنزل الكولونيل بان تري. وقد اعتبرت أغاثا بداية هذه الرواية أكثر بدايات رواياتها نجاحاً.

وفي وقت لاحق من الثلاثينيات تأتي رواية «الإصبع المتحرك» (وقد نشرت عام ١٩٤٣)، وهي لم تقع في سينت ميري ميد بل في قرية متخيلة أخرى اسمها لايمستوك. وهي رواية تمضي ثلاثة أرباعها قبل ظهور الأنسة ماربل التي لا تلبث أن تحل المعضلة وتعر على القاتل في الوقت المناسب تماماً. لقد أحبت أغاثا هذه الرواية وقالت عنها في ذكرياتها بعد نشرها بوقت طويل: "لقد أحبت هذه الرواية فعلاً. إنه لامتحان صعب لأية رواية أن يعيد المرء قراءتها بعد كتابتها بسبع عشرة سنة، فذوق المرء ورأيه في تغير مستمر، وبعض ما يكتبه لا يصمد في امتحان الزمان وبعضه ينجح. وهذه الرواية مما نجح في الامتحان".

أما رواية «الجريمة النائمة» فقد نُشرت في عام ١٩٧٦، أي في السنة التي ماتت فيها أغاثا كريستي. وقد اشتهرت على أنها الأخيرة من مغامرات الأنسة ماربل، ولكن هذا غير صحيح من حيث تاريخ كتابتها، فلقد كتبت أغاثا هذه الرواية (والرواية الأخرى: «الستارة: قضية بوارو الأخيرة» التي مات فيها بوارو) خلال السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية. وكما أخبرتنا في مذكراتها: "كان ذلك من باب الاحتياط خشية موتي في الحرب، فقد بدا موتي متوقعاً تماماً بسبب عملي في لندن التي

استهدفتها الغارات معظم الوقت". وقد قُدِّرَ لهاتين الروائيتين أن «تناما» في أدراج أغاثا كريستي لأكثر من ثلاثين عاماً.



لقد شاركت أغاثا كريستي نفسها في الحرب متطوعة للعمل الميداني في المستشفيات. أما بطلتها، الأنسة ماربل، فقد اختفت عن الأنظار خلال تلك الفترة لتعود بالظهور في عام ١٩٥٠ في الرواية التي نُشرت في تلك السنة «إعلان عن جريمة» والتي تدور أحداثها في عام ١٩٤٨. وبعد ذلك ظهرت في «خداع المرايا» (المنشورة عام ١٩٥٢)، ثم في رواية «جيب مليء بالحبوب» في السنة التالية. وبعد ذلك بسنتين، في عام ١٩٥٥، عانت الأنسة ماربل من إصابتها بمرض ذات الرئة، مما استدعى أن تعني بها ممرضة قديرة اسمها لوسي آيلسبارو، وبعد ذلك بسنتين استعانت الأنسة ماربل بهذه الممرضة نفسها لمساعدتها في حل لغز الجثة المختفية في «قطار الرابعة وخمسين دقيقة من بادنغتون»، وهي الرواية المنشورة في عام ١٩٥٧.

بعد ذلك نجد الأنسة ماربل وهي تزدداد تقدماً في السن وتحتاج إلى بعض الترويح بين وقت وآخر، وهكذا تقع أحداث ثلاث من رواياتها الأخيرة بعيداً عن القرية المعروفة. فهي متعبة ومريضة في الفترة التي تقع فيها أحداث «شرح في المرأة» (المنشورة عام ١٩٦٢)، وهذا قد استدعى تدخل ابن أختها، الروائي المشهور ريموند ويست، ليعيّن لها خادمة في البداية ثم

ليحملها على القيام ببعض الإجازات لترويح عن نفسها بعد ذلك.
ولكن الإثارة تلاحقها أنى ارتحلت، فنجدها منشغلة بالجرائم
والألغاز في منطقة الكاريبي («لغز البحر الكاريبي»، ١٩٦٤)،
وفي الفندق الفخم بمدينة لندن («في فندق بيرترام»، ١٩٦٥)،
وأخيراً في رحلة عبر إنكلترا («انتقام العدالة»، ١٩٧١)، وهي
أكثر مغامرات الأنسة ماربل كآبة.



مسرد بمغامرات الأنسة ماربل (الروايات
الطويلة) حسب تسلسل صدورها

١٩٣٠	جريمة في القرية
١٩٣٢	ثلاثة عشر لغزاً
١٩٤٢	جثة في المكتبة
١٩٤٣	الإصبع المتحرك
١٩٥٠	إعلان عن جريمة
١٩٥٢	خداع المرايا
١٩٥٣	جيب مليء بالحبوب
١٩٥٧	قطار ٤,٥٠ من بادنغتون
١٩٦٢	شرح في المرأة
١٩٦٤	لغز البحر الكاريبي
١٩٦٥	في فندق بيرترام
١٩٧١	انتقام العدالة
١٩٧٦	الجريمة النائمة

* * *

مزحة غريبة

قالت جين هيلر وهي تكمل تعريف ضيوفها بعضهم ببعض :
وهذه هي الأنسة ماربل !

وكونها ممثلة فقد كانت تستطيع أن تعطي لكلامها المعنى
الذي تريد ، وكان واضحاً أن عبارتها تلك كانت قمة التشويق ،
أو الخاتمة الرائعة ! كانت نبرة صوتها مزيجاً من الرهبة والاحترام
والزهو في آن واحد .

كان الغريب في الأمر أن من تمّ تقديمها للضيوف بكل
هذا الفخر لم تكن إلاّ عجوزاً رقيقة يبدو عليها الميل للقليل
والقال ، ولذلك ظهر عدم التصديق وشيء من خيبة الأمل
في عيون الشاب والفتاة اللذين سعت جين لتعريفهما بها . كانا
شابين جميلين : الفتاة (وتدعى تشارميان سترود) نحيلة سمراء ،
والرجل (ويدعى إدوارد روسيتر) أشقر الشعر ، لطيف وعملاق .
قالت تشارميان وهي تلهث قليلاً : آه ! إننا مسروران جداً
بلقائك .

ولكن الشك كان بادياً في عينيها . نظرت إلى جين هيلر

نظرة تساؤل سريعة فقالت جين رداً على نظرتها: "إنها رائعة تماماً يا عزيزتي... اتركي كل شيء لها. لقد أخبرتك أنني سأحضرها إلى هنا وقد فعلت". ثم أضافت تخاطب الأنسة ماربل: ستحلين المشكلة لهما، أعرف ذلك. سيكون ذلك سهلاً عليك.

نقلت الأنسة ماربل عينيها الهادئتين عميقتي الزُرقة صوب السيد روسيتر وقالت: ألن تخبرني عن طبيعة الأمر كله؟

تدخلت تشارميان بنفاد صبر قائلة: إن جين صديقة لنا. أنا وإدوارد وقعنا في ورطة. وقد طلبت جين منا أن نحضر حفلتها حتى تقدمنا لشخص يمكن... من شأنه...

أسرع إدوارد لنجدتها: أخبرتنا جين بأنك صاحبة القول الفصل في أمور التحري يا آنسة ماربل!

طرفت عينا السيدة العجوز، ولكنها عارضت بتواضع: آه، لا، لا! لست كذلك. كل ما في الأمر أن من يعيش في قرية مثلي يعرف الكثير عن الطبيعة البشرية. ولكنكما زدتما فضولي حقاً. أرجو أن تحدثاني عن مشكلتكما.

قال إدوارد: أخشى أن يكون تعييري مكروراً مبتذلاً... إنها مجرد كنز مدفون.

- أحقاً؟ ولكن هذا يبدو مثيراً جداً!

- أعرف، مثل حكاية «جزيرة الكنز». ولكن مشكلتنا تفتقر إلى اللمسات الرومنسية المعتادة، فلا توجد علامة على خريطة،

ولا رموز الجمجمة والعظمتين المتقاطعتين ، ولا تعليمات كتلك التي تقول: «أربع خطوات إلى اليسار، ثم الشمال الغربي...». إنها قضية عادية لا إثارة فيها، وملخصها هو أين يجب أن نحفر.

- هل حاولتم الحفر؟

- لقد حفرنا مساحة تُقدّر بنحو فدانين مربعين كاملين، حتى لقد أصبحت الأرض جاهزة لتكون حديقة إنتاجية... غير أننا نناقش فقط هل نزرعها بالكوسا أم بالببطا!

قالت تشارميان فجأة: أيمكننا أن نخبرك كل شيء عن هذا الأمر؟

- بالطبع يا عزيزتي.

- إذن، هيا نبحث عن مكان هادئ. هيا يا إدوارد.

تقدمت خارجة من الغرفة الصغيرة المكتظة العابقة بروائح الدخان، وصعدوا جميعاً الدرج إلى الطابق العلوي ثم دخلوا غرفة جلوس صغيرة هناك.

وعندما جلسوا بدأت تشارميان حديثها على الفور: حسناً، هاك الحكاية! الحكاية تبدأ بالعم ماثيو... أو بالأحرى العم البعيد البعيد... لنا نحن الاثنين. كان عجوزاً بلغ من العمر أربعمائة، وكنت أنا وإدوارد قريبيه الوحيدين. وكان يحبنا كثيراً، وقد أخبرنا دائماً أنه سيترك عند موته كل ثروته لنا نحن الاثنين مناصفة. وقد مات في شهر آذار الماضي وترك كل شيء كان يملكه لنقتسمه

أنا وإدوارد مناصفة. إن ما قلته تواً قد يبدو كلاماً قاسياً، ولكنني لا أقصد هنا أن موته كان أمراً مفيداً، فقد كنا نحبه كثيراً في الواقع. ولكنه كان مريضاً منذ فترة طويلة. المهم أن «كل شيء» الذي تركه لنا ظهر أنه لا شيء أبداً، وكانت هذه -بصراحة- صدمة موجعة لنا نحن الاثنين، أليس كذلك يا إدوارد؟

وافقها إدوارد الودود قائلاً: لقد اعتمدنا قليلاً على هذا الأمر. أقصد أن المرء عندما يعلم أن ثروة كبيرة في طريقها إليه فإنه لا يبذل مجهوداً كبيراً لجمع ثروة بنفسه. أنا في الجيش ولا أملك شيئاً يُذكر سوى راتبي، كما أن تشارميان نفسها لا تملك شيئاً. إنها تعمل مديرة مسرح، وهو عمل ممتع تماماً وهي مستمتعة به، ولكنه لا يحقق عوائد تُذكر. كنّا نعقد آمالاً على موضوع زواجنا لكننا لم نقلق بخصوص المال لأننا كنا نعرف أننا سنصبح أغنياء تماماً يوماً ما.

قالت تشارميان: وكما ترين فنحن لسنا كذلك! والأنكى من هذا أن «أنستيز» (وهو بيت العائلة الذي أحببناه أنا وإدوارد) ربما تعين عرضه للبيع، ونحن نشعر أننا لا يمكن أن نطيق هذا الأمر، ولكن إذا لم نجد أموال العم ماثيو فسوف نضطر إلى بيعه.

قال إدوارد: ما زلنا بعيدين عن النقطة الحيوية يا تشارميان.

- حسناً، تكلم أنت إذن.

التفت إدوارد إلى الأنسة ماربل وقال: الأمر هكذا. فمع تقدم العم ماثيو بالعمر أخذ يزداد ارتياباً ولم يعد يثق بأحد.

قالت الأنسة ماربل: إنه سلوك حكيم جداً من جانبه،
فالطبيعة البشرية فاسدة إلى حدٍّ لا يمكن تصديقه.

- ربما تكونين على حق. على أية حال كان العم ماثيو يعتقد
بذلك. كان له صديق فقد أمواله في أحد البنوك، وصديق آخر
دمر حياته محام فرّ من وجه العدالة، كما أنه هو نفسه قد خسر
أموالاً في شركة وهمية. وقد بلغ به هذا الأمر حداً جعله يقول
دائماً إن التصرف الوحيد الآمن والمعقول هو أن يحول المرء
أمواله إلى سبائك ذهبية ويدفنها.

قالت الأنسة ماربل: آه، بدأت أفهم.

- نعم. لقد ناقشه أصدقاء له في هذا مشيرين إلى أنه لن
يحصل على فوائد بهذه الطريقة، ولكنه كان يرى أن هذا الأمر
غير مهم. وقد قال إن ثروة المرء "يجب أن تُحفظ في صندوق
تحت السرير أو تُدفن في الحديقة". كانت هذه كلماته.

أكملت تشارميان الحديث قائلة: وعندما توفي لم يترك أي
سندات مالية أبداً، رغم أنه كان غنياً جداً. ولذلك نعتقد أن ذلك
هو ما فعله دون شك.

أوضح إدوارد: لقد اكتشفنا أنه باع سندات مالية وسحب
مبالغ ضخمة من وقت لآخر دون أن يدري أحد ماذا فعل بها.
ولكن يبدو ممكناً أنه طبّق خطته فاشترى ذهباً ودفنه.

- ألم يقل شيئاً قبل أن يموت؟ ألم يترك ورقة أو رسالة؟

- هذا هو الأمر الذي يثير الجنون... لم يترك شيئاً! لقد فقد وعيه بضعة أيام لكنه أفاق قبل أن يموت، وقد نظر إلينا نحن الاثنين وضحك... ضحكة ضعيفة باهتة، ثم قال: "ستكونان على ما يرام أيها الغزالان الجميلان". ثم أغمض عينيه (بل عينه اليمنى، وغمزنا) ثم مات. مسكين العم ماثيو.

قالت الأنسة ماربل متأملة: أغمض عينه.

قال إدوارد متلهفًا: هل يدلك هذا على شيء؟ لقد جعلني هذا أفكر في قصة أرسين لوبين حيث كان شيء مخبأ في عين زجاجة لأحد الرجال. لكن العم ماثيو لم تكن له عين زجاجة.

هزت الأنسة ماربل رأسها حيرة وقالت: لا، لا أستطيع التفكير بأي شيء في هذه اللحظة.

قالت تشارميان بشيء من خيبة الأمل: أخبرتنا جين أنك ستخبرينا فوراً عن المكان الذي ينبغي علينا أن نحفر فيه!

ابتسمت الأنسة ماربل وقالت: أنا لست بالساحرة، ولم أعرف عمك أو أي نوع من الرجال كان، كما أنني لا أعرف البيت أو الأراضي المحيطة به.

قالت تشارميان: وإذا عرفتهما؟

- حسناً، لا بد أن الأمر سيكون بسيطاً للغاية، أليس كذلك؟

- بسيطاً! تعالي إلى البيت وانظري إن كان بسيطاً!

ربما لم تكن تشارميان تقصد بعبارتها تلك دعوة الأنسة ماربل جدياً، إلا أن الأخيرة سارعت إلى القول: حسناً، هذا كرم كبير حقاً من طرفك يا عزيزتي. لقد أحببت دائماً أن تتاح لي فرصة للبحث عن كنز مدفون.

ثم أضافت وهي تنظر إليهما مبتسمة: وباهتمام دافعه الحب أيضاً!



قالت تشارميان وهي تشير بيدها بطريقة درامية: أترين!

كانوا قد اختتموا جولة كبيرة في البيت وما حوله، فقد تمشوا في حديقة المطبخ التي حُفرت في كل جزء منها، كما ساروا خلال الغابات الصغيرة حيث حُفر حول كل شجرة، ونظروا بحزن إلى السطح المليء بالحفر للمرجة العشبية التي كانت يوماً مستوية رائعة. ثم صعدوا إلى العلية، حيث بُعثرت محتويات الصناديق والخزائن الموجودة فيها وأُفرغت من محتوياتها، ونزلوا إلى السرايب حيث تم اقتلاع الأحجار من مكانها، وقاموا بقياس الجدران والضرب عليها، وشاهدت الأنسة ماربل كل قطعة أثاث أثرية احتوت أو يُشك في أنها تحتوي على دُرج سري.

كانت على طاولة في غرفة الطعام كومة من الأوراق...

جميع الأوراق التي تركها الراحل ماثيو سترارد. لم تُتلف أي ورقة منها، وقد اعتادت تشارميان وإدوارد الرجوع إليها مرة تلو الأخرى، يمعنان النظر في الفواتير والدعوات ومراسلات العمل على أمل أن يعثروا على دليل لم يلحظه حتى اليوم.

سألته تشارميان بشيء من الأمل: هل يمكنك التفكير في أي مكان لم نبحث نحن فيه؟

هزت الآنسة ماربل رأسها بالنفي وقالت: يبدو أنكما تعمقتما تماماً في البحث... بل ربما كان تعمقكما هذا أكثر قليلاً من المطلوب. أنا أرى دوماً أن على المرء أن يضع خطة، وهذا يشبه ما حدث مع صديقتي السيدة إيلدريتش، فقد كانت لديها خادمة صغيرة لطيفة تلمّع أرضية البيت بكل حرص، ولكنها كانت من الحرص بحيث بالغت في تلميع أرضية الحمام، وبينما كانت السيدة إيلدريتش تخرج من الحمام انزلقت الممسحة من تحت قدميها فوقعت على الأرض وقعة شديدة وكسرت ساقها! وكانت تلك مشكلة فظيعة للغاية لأن باب الحمام كان مقفلاً، وقد توجب على البستاني أن يحضر سلماً ويدخل من خلال النافذة لإنقاذها.

تململ إدوارد فسارعت الآنسة ماربل للقول: أرجو أن تسامحني. أعرف أنني أنحرف دوماً عن موضوع الحديث، ولكن الشيء بالشيء يُذكر، وهذا ما يكون مفيداً أحياناً. كل ما أحاول قوله هو أننا لو حاولنا أن نشحذ عقولنا ونفكر في مكان محتمل.

قال إدوارد غاضباً: أنت فكري لنا في مكان يا آنسة ماربل ،
فعقلي وعقل تشارميان أصبحا الآن فارغين!

- أيها المسكينان. إنه أمر متعب جداً لكما بالطبع. إذا لم
تمانعا فإنني أود إلقاء نظرة على هذه...

وأشارت إلى الأوراق على الطاولة وقالت: هذا إن لم يكن
فيها أوراق خاصة، فلا أريد الظهور بمظهر المتطفلة.

- آه، لا بأس. لكن أخشى أن لا تجدي شيئاً.

جلست قرب الطاولة وبدأت تعمل في كومة الأوراق،
وعندما كانت تنتهي من كل واحدة كانت تفرزها -آلياً- في
مجموعات صغيرة مرتبة. وعندما انتهت من عملها جلست
تحقق أمامها بضع دقائق.

سألها إدوارد بنبرة لا تخلو من خبث: حسناً يا آنسة ماربل؟
فوجئت الآنسة ماربل (وكانها كانت شاردة بعيداً) وقالت:
أرجو المَعذرة، لم أسمع ما قلته.

- هل وجدت شيئاً ذا صلة بالأمر؟

- آه لا، لا شيء من هذا. ولكنني أعتقدُ -حقاً- أنني أعرف
أي نوع من الرجال كان عمك. إنه مثل عمي هنري، كان مولعاً
بالمزاح. واضح أنه كان أعزب... لا أدري سبب ذلك، ربما كان
بسبب خيبة أمل مبكرة؟ وهو منهجي إلى حدٍ معين، ولكنه لا

يحب الارتباط. إن كثيراً من العزاب على هذا الشكل!

قامت تشارميان بإشارة لإدوارد من وراء ظهر الأنسة ماربل مفادها أن هذه المرأة معتوهة.

كانت الأنسة ماربل مستمرة في الحديث عن عمها الراحل هنري بسعادة: كان مولعاً جداً بالغمز في كلامه، وهذا الغمز مزعج جداً لبعض الناس... إن من شأن التلاعب بالألفاظ أن يثير الغضب الشديد. كما كان رجلاً شكاكاً أيضاً، وكان مقتنعاً دائماً بأن الخدم كانوا يسرقونه. صحيح أنهم كانوا يسرقونه أحياناً، ولكن ليس دائماً. وقد تفاقم ذلك عند الرجل المسكين حتى بات -في النهاية- يرتاب في عبثهم بطعامه، فأخذ يرفض أكل شيء سوى البيض المسلوق (بحجة أن أحداً لا يمكنه العبث بداخل البيضة المسلوقة)! لقد كان العم العزيز هنري ذا روح مرحة في وقت من الأوقات، وكان يحب تناول القهوة بعد العشاء ويطلب المزيد منها دائماً.

أحس إدوارد بأنه سيصاب بالجنون لو سمع المزيد عن العم هنري، ولكن الأنسة ماربل تابعت تقول: كما أنه كان مولعاً بالشباب والصغار، ولكنه كان يميل إلى إغاثتهم قليلاً، فكان يضع علب الحلوى في مكان لا يمكن للطفل أن يصله.

ألقت تشارميان بالأدب جانباً وقالت: أظنه يبدو فظيلاً!

- آه، لا يا عزيزتي، كان مجرد أعزب عجوز، ولم يكن معتاداً على الأطفال. ولم يكن بالغبي أبداً في الواقع. كان يحتفظ

بمبلغ كبير من المال ، وقد ركب خزانة حديدية في البيت وظل يردد -طوال الوقت- مزاياها وما توفره من أمان. ونتيجة لحديثه الكثير عنها اقتحم اللصوص بيته ذات ليلة وفتحوا ثغرة في الخزانة باستخدام أداة كيميائية.

قال إدوارد: ووقع في جزاء عمله.

قالت الآنسة ماربل: آه، ولكن لم يكن في الخزانة شيء. كان يحتفظ بنقوده في مكان آخر... وراء بعض مجلدات المواعظ في المكتبة، وكان يقول إن الناس لا يأخذون كتاباً من هذا النوع من مكانه!

قاطعها إدوارد بانفعال: هذه فكرة جديدة. ماذا عن المكتبة؟

لكن تشارميان هزت رأسها بازدراء وقالت: أتظنني لم أفكر بهذا؟ لقد فتشت جميع الكتب يوم الثلاثاء الماضي، عندما ذهبت أنت إلى بورتسموث. أخرجت جميع الكتب ونفضتها ولم أعثر على شيء.

تنهَّد إدوارد، ثم نهض وحاول -بلباقة- تخليص نفسه من ضيفتهما المخيبة للآمال قائلاً: جميل منك أن تأتي إلي هنا وتحاولي مساعدتنا. نحن نأسف لإخفاقنا. أشعر أننا بددنا الكثير من وقتك... سأُخرج السيارة لإيصالك بحيث تلحقين بقطار الثالثة والنصف.

- آه، ولكن يجب أن نعثر على النقود، أليس كذلك؟
يجب أن لا تستسلم لليأس يا سيد روسيتر. إذا لم تنجح من أول
مرة فحاول، ثم حاول، ثم حاول.

- هل تقصدين أنك ستواصلين... ستواصلين المحاولة؟

- بالضبط. أنا لم أبدأ بعد، وكما تقول السيدة بيتون في
كتابها عن الطهي: «أمسك أولاً أرنبك...»، وهو كتاب رائع
ولكنه باهظ الثمن، وتبدأ معظم وصفات الطعام بعبارة: «خذي
ربع غالون من القشدة وعشر بيضات». ماذا كنت أقول؟ آه،
نعم، علينا أن نمسك بأرنبنا. وقد أمسكنا أرنبنا إذا صح التعبير،
والأرنب هنا هو عمك ماثيو بالطبع، وما علينا إلا أن نقرر الآن
أين كان من شأنه أن يخبئ الأموال. يجب أن يكون هذا بسيطاً
جداً.

سألتها تشارميان: بسيطاً؟

- نعم يا عزيزتي. أنا واثقة أن من شأنه أن يفعل الشيء
الواضح... أظنه وضع المال في دُرج سري.

قال إدوارد بجفاء: لا يمكنك أن تضعي سبائك ذهبية في
دُرج سري.

- نعم، بالطبع. ولكن لا يوجد سبب للاعتقاد بأن المال
يأخذ شكل سبائك ذهبية.

- لقد كان دائماً يقول...

- وهذا ما كان يقوله عمي هنري عن خزنته! ولذلك أشك كثيراً في أن كلامه لم يكن سوى ستار للتضليل. إن أحجار الألباس يمكن وضعها في دُرج سري بسهولة تامة.

- ولكننا فتشنا كل الأدراج السرية. لقد أحضرنا نجاراً لفحص الأثاث.

- أحقاً يا عزيزتي؟ هذا ذكاء منك. أرى أن طاولة المكتب الخاصة التي كان عمك يستخدمها هي المكان الأرجح. أكان مكتبه ذلك المكتب المقابل للحائط هناك؟
- نعم، وسوف أريك.

ذهبت تشارميان إلى المكتب وفتحت مصراع المنضدة. كان في الداخل رفوف صغيرة مربعة وأدراج صغيرة، وفتحت باباً صغيراً في الوسط ولمست لولباً داخل الدرج الأيسر. أصدر الدرج الأوسط صوتاً وانزلق إلى الأمام، فأخرجته تشارميان كاشفة عن حجرة صغيرة تحته، وكانت فارغة.

صاحت الأنسة ماربل: أليست هذه مصادفة غريبة؟ كان للعم هنري مكتبٌ مثله، إلا أنه كان من خشب الجوز، أما هذا فمن خشب الماهو غاني الأحمر.

قالت تشارميان: على أية حال ليس فيه شيء كما ترين.

- أظن أن النجار الذي أحضرتماه كان شاباً ولم يكن يعرف كل شيء. كان الناس بارعين جداً عندما يصنعون مخابئ سرية

في تلك الأيام، وكان ما يُسمى السرّ داخل السر.

أخرجت دبوساً من كومة شعرها الرمادي المرتب فأدخلته في مكان بدا ثقباً صغيراً لحشرة في أحد جوانب الدرج السري، وبعوض الصعوبة أخرجت منه درجاً صغيراً. وكان بداخله حزمة من الرسائل باهتة اللون وورقة مطوية.

انقض إدوارد وتشارميان على هذا الاكتشاف معاً. فتح إدوارد الورقة بأصابع مرتجفة، ثم رماها وهو يصيح مغتاضاً: تبا! إنها وصفة لتحضير وجبة طعام... لحم مشوي!

حلت تشارميان الخيط الذي كان يربط الرسائل وأخرجت واحدة منها فنظرت إليها قائلة: إنها رسائل غرامية!

هتفت الأنسة ماربل بحماسة فكتورية: هذا مثير جداً! ربما كان هذا هو سبب عدم زواج عمك أبداً.

قرأت تشارميان بصوت مرتفع:

عزيزي الغالي ماثيو،

لا بد أن أعترف بأن الوقت قد طال على استلام آخر رسالة منك. إنني أحاول أن أشغل نفسي بالمهام العديدة الموكلة إلي، وغالباً ما أقول لنفسي إنني محظوظة جداً لمشاهدتي كثيراً من بلاد العالم، رغم أنني لم أحسب عندما ذهبت إلى أميركا أنني سأسافر إلى هذه الجزر البعيدة!

سكتت تشارميان ثم قالت: من أين هذه الرسالة؟ آه! من هاواي! ثم أكملت:

للأسف، فإن السكان المحليين أبعد ما يكونون عن المدنية. إنهم بدائيون ويقضون معظم وقتهم في السباحة والرقص ويزينون أنفسهم بأكاليل الزهور. وقد نجح السيد غراي في تنصير بعض السكان، ولكنه عمل شاق، وقد ثبطت عزيمته وعزيمة زوجته. إنني أحاول بذل جهدي لتشجيعه وإدخال السرور إلى نفسه، لكنني -أنا الأخرى- حزينة لسبب تعرفه يا عزيزي ماثيو. للأسف فإن الغياب محنة قاسية على القلب المحب. إن قَسَمَك الذي تجددته كل مرة وتأكيداتك على حبك لي تفرحني كثيراً. أنت تملك الآن وإلى الأبد قلبي المحب والمخلص يا عزيزي ماثيو. وسأبقى دائماً... حبك الحقيقي، بيتي مارتن. ملاحظة: أرسل رسائلي لك على عنوان صديقتنا المشتركة ماتيلدا غريفس كالعادة. أرجو أن يسامحني الله على حيلتي الصغيرة هذه.

صفر إدوارد قائلاً: امرأة تعمل في البعثات التبشيرية! كانت تلك -إذن- هي قصة حب العم ماثيو. ترى لماذا لم يتزوجا؟

قالت تشارميان وهي تتفحص الرسائل: يبدو أنها سافرت إلى جميع أنحاء العالم... جزر موريشيوس... جميع الأماكن. ربما ماتت من الحمى الصفراء أو مرض مثله.

جفل الاثنان بسبب ضحكة خفيفة أطلقتها الأنسة ماربل
وقد بدا عليها الفرح. قالت: حسناً، حسناً، هذا غريب!

كانت تقرأ وصفة تحضير اللحم المشوي، وعندما رأت
نظراتهما المتسائلة قرأت بصوت مرتفع:

لحم مشوي مع السبانخ. تؤخذ قطعة من لحم الفخذ،
تُفرك بالثوم وتُغطى بالسكر الأحمر، ثم توضع على نار خفيفة
في الفرن. ثم تُقدّم محاطة بالسبانخ المهروس.

ماذا تريان في هذه؟

قال إدوارد: أراها أكلة مقرزة.

- لا، من شأنها أن تكون أكلة رائعة. ولكن ما رأيكما
بالأمر كله؟

أضاء وجه إدوارد فجأة وقال: أتظننها شيفرة ما... أو
رسالة سرية؟

أمسك بها وقال: انظري يا تشارميان، قد تكون كذلك
بالفعل! وإلا لما كان من داعٍ لوضع وصفة طعام في دُرج سري.

قالت الأنسة ماربل: بالضبط، هذه نقطة مهمة جداً.

قالت تشارميان: أعرف ما يمكن أن تكون... حبراً سرياً!
دعنا نسخّنها، أشعل المدفأة الكهربائية.

فعل إدوارد ما قالت، ولكن لم تظهر أية إشارات على

وجود كتابة سرية.

تنحنحت الأنسة ماربل وقالت: أظن أنكما تصعبان الأمر قليلاً. إن وصفة الطعام مجرد مؤشر فقط. أعتقد أن الرسائل هي الأمر المهم.

- الرسائل؟

- وخصوصاً التوقيع.

لكن إدوارد لم يكذب يسمعها، إذ صاح دَهْشاً: تشارميان، تعالي هنا! إنها على حق. انظري... المغلفات قديمة بالفعل، ولكن الرسائل نفسها كُتبت حديثاً.

قالت الأنسة ماربل: بالضبط.

- لقد زُيِّفت بحيث تبدو قديمة. أراهن أن العم ماثيو هو الذي زورها بنفسه...

قالت الأنسة ماربل: بالضبط.

- الأمر كله خدعة. لم تكن هناك امرأة تعمل في التبشير. لا بد أنها شيفرة.

- يا ولديّ العزيزين... لا حاجة لجعل الأمر صعباً للغاية. كان عمكما رجلاً بسيطاً تماماً، وكان يريد أن يمزح كعاداته، وهذا كل ما في الأمر.

لأول مرة أصغيا إليها إصغاء كاملاً. سألتها تشارميان: ماذا

تقصدين بالضبط يا آنسة ماربل؟

- أقصد أنك تمسكين بالمال بيدك في هذه اللحظة بالفعل.

حدقت تشارميان إلى الرسالة.

- التوقيع يا عزيزتي... إنه يكشف كل شيء. وصفة الطعام مجرد مؤشر. إذا جردنا كلماتها من الثوم والسكر الأحمر وبقية هذه الأشياء فماذا تكون عملياً؟ سيبقى فخذ اللحم والسبانخ بالتأكيد. فخذ اللحم والسبانخ. والمعنى: هراء! ولذلك فالواضح أن الرسائل هي المهمة. ثم فكراً بما فعله عمكما قبل موته بوقت قصير. لقد غمز بعينه كما قلتما. حسناً، هذا يعطيكما المفتاح.

قالت تشارميان: هل أنت مجنونة أم نحن المجانين؟

- لا بد أنك سمعت -يا عزيزتي- العبارة التي تقول: «ليس كل ما يلعب ذهاباً». لقد كان القدماء يقولون إذا ما رأوا فتاة جميلة: «عيني على بيتي مارتن».

شهق إدوارد وعيناه تنظران إلى الرسالة التي يمسك بها بيده وقال: بيتي مارتن...

- بالطبع يا سيد روسيتر. كما قلت لتوك: لم توجد أبداً واحدة بهذا الاسم. عمك هو الذي كتب الرسائل، كما أظن أنه استمتع كثيراً بكتابتها! وكما قلت فإن الكتابة على المغلفات تبدو مكتوبة قبل الرسائل نفسها بوقت طويل... وفي الواقع

هذه المغلفات لا تخص الرسائل التي فيها لأن خاتم البريد على المغلف الذي بيدك يحمل تاريخ ألف وثمانمئة وواحد وخمسين.

سكتت، ثم شددت على كلمتها: عام ألف وثمانمئة وواحد وخمسين. وهذا يوضح كل شيء، أليس كذلك؟
قال إدوارد: ليس بالنسبة لي.

- بالطبع، أظن أنه ما كان سيتضح لي أيضاً لولا ليونيل، ابن بنت أختي. كان ولداً صغيراً يهوى جمع الطوابع ويعرف كل شيء عن طوابع البريد. وهو الذي أخبرني عن الطوابع النادرة والشمينة، وأن طابعاً اكتُشف حديثاً سيعرض في المزاد. وأذكر أنه ذكر لي طابعاً معيناً... صدر عام ألف وثمانمئة وواحد وخمسين... طابعاً أزرق من فئة سنتين. وقد بيع بمبلغ يصل إلى نحو خمسة وعشرين ألف دولار حسب ظني. تخيل! وأظن أن الطوابع الأخرى نادرة وشمينة. لا شك أن عمكما قد اشترى هذه الطوابع من أناس يتعاملون بها وكان حريصاً على «تغطية خدعه» كما يُقال.

زأر إدوارد وجلس واضعاً وجهه بين يديه، فسأله تشارميان: ماذا في الأمر؟

- لا شيء. لقد راودتني فقط الفكرة بأننا -لولا الآنسة ماربل- كنا سنحرق هذه الرسائل بكل أدب وفاء لذكرى العجوز!

قالت الأنسة ماربل: هذا ما لا يدركه هؤلاء الرجال
المسنون الذين يحبون المزاح. أذكر أن العم هنري أرسل ورقة
نقدية بمبلغ خمسة جنيهات لابنة أخ له يحبها هدية في عيد
الميلاد. وقد وضعها بين ورقتي بطاقة المعايدة وألصق الورقتين
وكتب عليها: "مع حبي وأطيب أمنياتي. أخشى أن يكون هذا كل
ما يمكنني عمله لك هذا العام". وقد تضايقت الفتاة المسكينة
مما ظنته بخلاً منه فألقت البطاقة مباشرة في النار. ثم كان عليه
أن يعطيها غيرها بالطبع.

تغيرت مشاعر إدوارد نحو العم هنري تغيراً تاماً وقال:
آنسة ماربل، سأقيم لك مأدبة عامرة على شرف عمك الراحل
هنري.



قضية الخادمة المثالية

- أرجوك يا سيدتي، هل لي أن أتحدث معك لحظة؟

ربما حُيِّل للمرء بأن هذا الطلب من باب السخافة طالما أن
إدنا، خادمة الأنسة ماربل، كانت تتحدث مع سيدتها في تلك
اللحظة بالفعل.

ولكن الأنسة ماربل أجابتها فوراً وقد أخذت العبارة على
ظاهرها: بالتأكيد يا إدنا، ادخلي وأغلقي الباب. ما الأمر؟

أغلقت إدنا الباب طائفةً وتقدمت نحو سيدتها في الغرفة
وطوت طرف مريلتها بأصابعها وابتلعت ريقها مرة أو مرتين.

قالت الأنسة ماربل مشجعة: نعم يا إدنا؟

- آه، أرجوك يا سيدتي! إنها ابنة عمي غلاديس.

قالت الأنسة ماربل وقد قفز تفكيرها إلى أسوأ النتائج،
تلك النتائج التي كانت معتادة مع الأسف: يا إلهي! هل وقعت
في مشكلة؟

أسرعت إدنا تطمئننها: آه، لا يا سيدتي، لا شيء من هذا،
غلاديس ليست من هذا النوع من الفتيات. إنها متضايقة فقط
لأنها فقدت عملها.

- يا للمسكينة! أنا آسفة لسماع هذا. كانت تعمل في أولد
هول مع الآنسة سكينر، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدتي، هذا صحيح. وقد انزعجت غلاديس من
ذلك... انزعجت جداً.

- ومع ذلك فقد غيرت غلاديس مكان عملها عدة مرات
من قبل، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدتي. إنها تحب التغيير دائماً، ولا يبدو أنها
تستقر في مكان أبداً، ولكنها كانت هي التي تترك مخدميهـا
دائماً!

قالت الآنسة ماربل بجفاء: وقد حدث العكس هذه المرة،
أليس كذلك؟

- بلى يا سيدتي، ممّا ضايق غلاديس كثيراً.

بدت الآنسة ماربل مدهوشة بعض الشيء، فهي تتذكر
غلاديس (التي كانت تأتي -من وقت لآخر في أيام عطلةـها-
لتشرب الشاي في المطبخ) فتاةً ممتلئة مرحة ذات مزاج هادئ
لا تهزه الرياح.

أكملت إدنا: السبب يا سيدتي هو الطريقة التي وقع بها الأمر... الطريقة التي بدت بها الآنسة سكينر.

سألتها الآنسة ماربل بصبر: وكيف بدت الآنسة سكينر؟

هذه المرة انطلقت إدنا بعيداً في سرد نشرتها الإخبارية: آه يا سيدتي! كان الأمر صدمة شديدة لغلاديس، إذ فقد أحد دبابيس الزينة للآنسة إيميلي وحدثت ضجة لا أول لها ولا آخر. وبالطبع فإن أحداً لا يحب وقوع شيء كهذا. إنه عمل مزعج يا سيدتي، وقد ساعدت غلاديس في البحث عنه في كل مكان، وقالت الآنسة لافينيا إنها ستذهب لإبلاغ الشرطة عنه، ثم ظهر بعد ذلك، حيث كان قد دُفع إلى مؤخرة الدُرج في طاولة الزينة، وشعرت غلاديس بارتياح بالغ لذلك.

وفي اليوم التالي كُسر أحد الصحن فدخلت الآنسة لافينيا على غلاديس غاضبة وأخبرتها أن أمامها شهراً قبل أن تغادر البيت. وتشعر غلاديس أن ذلك لا يمكن أن يكون بسبب كسر الصحن، وإنما كانت الآنسة لافينيا تتعذر بذلك فقط وأنه لا بد من أن يكون بسبب دبوس الزينة، حيث يظنون أنها هي التي أخذته ثم أعادته عندما ذكروا أمر إبلاغ الشرطة، وما كانت غلاديس لتفعل مثل هذا الأمر، ولم تفعله أبداً من قبل. وهي تشعر أن هذا الأمر سينتشر وتسوء سمعتها وهو أمر مهم بالنسبة لفتاة كما تعلمين يا سيدتي.

أومأت الآنسة ماربل برأسها. ورغم أنها لا تُكنُّ محبة

خاصة لغلاديس المتبجحة المعتدة برأيها، إلا أنها كانت واثقة تماماً من أمانة الفتاة الفعلية، وكان بوسعها أن تتصور كيف أن هذا الأمر قد ضايقها.

قالت إدنا بحزن: أتساءلُ إن كان بوسعك القيام بشيء حيال هذا الأمر يا سيدتي؟ إن غلاديس في حالة يرثى لها.

قالت الأنسة ماربل بحزم: أخبريها أن لا تكون سخيفة. إذا لم تكن قد أخذت الدبوس (وأنا واثقة من أنها لم تأخذه) فليس من سبب يدعوها للانزعاج.

قالت إدنا حزينة: ولكن الخبر سينتشر.

قالت الأنسة ماربل: إنني... إن لي زيارة إلى تلك المنطقة بعد ظهر اليوم، وسأتحدث مع الأنستين سكينر.

- آه، شكراً لك يا سيدتي.



كان أولد هول بيتاً فكتورياً كبيراً تحيط به الغابات والأراضي التابعة له، وحيث قد ثبت عدم إمكانية تأجيريه أو بيعه على حالته هذه، فقد قام متعهد بتقسيمه إلى أربع شقق مع نظام مركزي لتسخين الماء، ويتم استخدام الأرض حوله من قبل المستأجرين استخداماً مشتركاً.

وقد كانت التجربة مُرضية، فقد استأجرت عجوز ثرية

غريبة الأطوار إحدى هذه الشقق مع خادمتها، وكانت العجوز تهوى الطيور وتستمتع بتجميعها على الطعام كل يوم. والشقة الثانية استأجرها قاض هندي متقاعد وزوجته. والشقة الثالثة يشغلها عريسان تزوجا حديثاً. أما الرابعة فقد استأجرتها -قبل شهرين فقط- امرأتان عانسان من عائلة سكينر. ولم تكن بين المجموعات الأربع التي تسكن هذه الشقق أي علاقات، حيث لا يوجد شيء مشترك بينها، وقيل إن صاحب البيت قد وصف هذا بأنه شيء رائع، فقد كان يخشى من تكوّن صداقات بين المستأجرين يتبعها نفور وشكاوى تقدم له.

كانت الأنسة ماربل تعرف جميع المستأجرين، رغم أنها لم تكن معرفة جيدة. كانت الأنسة لافينيا سكينر (وهي الأخت الكبرى) ما يمكن تسميته «النحلة العاملة» في هذا البيت، أما أختها الصغرى، الأنسة إيميلي، فكانت تقضي معظم وقتها في السرير تعاني من أوجاع مختلفة رأت قرية سينت ميري ميد أنها أوجاع مُتخيّلة. وحدها الأنسة لافينيا كانت تؤمن -بإخلاص- بعذاب أختها وصبرها على بلواها، وكانت تركض في القرية عن طيب خاطر، جيئةً وذهاباً، وهنا وهناك، من أجل أشياء «اشتتها أختي فجأة».

كان رأي قرية سينت ميري ميد أنه لو كانت الأنسة إيميلي تعاني -فعلاً- من نصف ما تزعم أنها تعاني منه لكانت أرسلت في طلب الدكتور هيدوك منذ وقت طويل، ولكن عندما لمّح بعضهم للأنسة إيميلي بذلك أغلقت عينيها بعنجهية وتمتمت بأن

حالتها لم تكن بسيطة، فقد تحير أفضل أطباء لندن في فهمها... وأن طبيباً جديداً رائعاً قد وضع لها برنامج علاج ثورياً، ولذلك فهي ترجو أن تتحسن صحتها بموجب هذا العلاج (وقالت إن طبيباً عاماً بليداً لا يمكن أن يفهم حالتها).

قالت الأنسة هارتنيل الجريئة: أرى أنها كانت حكيمة إذ لم ترسل في طلبه، فقد كان من شأن الدكتور هيدوك أن يقول لها -بأسلوبه المبتهج المعتاد- إنها لا تعاني من شيء ويطلب منها أن تنهض من سريرها ولا تضخم الأمور، وكان سيقول إن ذلك سينفعها كثيراً!

ولكن مع رفض الأنسة إيميلي لمثل هذا العلاج العشوائي واصلت استلقاءها على الأرائك وإحاطة نفسها بعلب الأدوية الصغيرة، كما مضت في رفض أي شيء يُطبخ من أجلها وطلب أشياء أخرى تكون -في العادة- أشياء يصعب الحصول عليها.



فتحت غلاديس الباب للآنسة ماربل وهي تبدو أكثر اكتئاباً مما سبق للآنسة ماربل أن رأتها في أي وقت مضى. وفي غرفة الجلوس (وهي جزء من غرفة الاستقبال القديمة التي تمت تجزئتها إلى غرفة طعام وغرفة استقبال وحمام ومكان لخزانة الخادمة) نهضت الأنسة لافينيا لتحية الأنسة ماربل.

كانت لافينيا سكينر في الخمسين من عمرها، طويلة ونحيلة

و ذات صوت أجش وسلوك يتسم بالسرعة والفجائية. قالت :
تسرني رؤيتك. إيميلي مستلقية في سريرها، فالمسكينة تشعر
بالضعف اليوم. أرجو أن تتمكن من رؤيتك، فهذا سيهيجها،
ولكن تمر عليها أوقات لا تستطيع فيها رؤية أحد. مسكينة! إنها
تتحلى بصبر رائع.

أجابتها الأنسة ماربل بأدب. وحيث أن موضوع الحديث
الأساسي في قرية سينت ميري ميد هو الخدم، فلم يكن صعباً
توجيه الحديث في ذلك الاتجاه، ثم قالت الأنسة ماربل إنها
سمعت أن تلك الفتاة اللطيفة غلاديس هولمز ستترك العمل.

أومأت الأنسة لافينيا موافقةً وقالت: بعد أسبوع من يوم
الأربعاء. لقد كسرت أشياء، وأنا لا أستطيع تحمل ذلك.

تنهدت الأنسة ماربل وقالت: علينا -جميعاً- أن نتحمل
أموراً كثيرة في هذه الأيام، فمن الصعوبة بمكان إقناع الفتيات
بالقدوم إلى الريف للعمل.

ثم سألت مضيفتها إن كانت ترى أن من الحكمة إخراج
غلاديس، فاعترفت الأنسة لافينيا قائلة: أعرف أن من الصعب
الحصول على خدم. عائلة ديفيرو لم تتمكن من الحصول على
أية خادمة. ولكنني لا أستغرب ذلك، فأفرادها يتشاجرون دائماً
ويتناولون الطعام في أي وقت... وتلك الزوجة لا تعرف شيئاً
عن التدبير المنزلي. إنني أشفق على زوجها! كما أن عائلة
لاركين قد فقدت خادمتها، وأنا لا أستغرب ذلك أيضاً بالطبع،

بسبب المزاج الهندي للقاضي وإصراره على أن يتم تحضير مشروبه الهندي الغريب في الساعة السادسة صباحاً، بالإضافة إلى شكاوى السيدة لاركين الدائمة.

- ألا ترين -إذن- أن بإمكانك إعادة التفكير في قرارك بخصوص غلاديس؟ إنها فتاة لطيفة حقاً، وأنا أعرف عائلتها معرفة جيدة، وهي عائلة لا غبار عليها ويتمتع أفرادها بالأمانة. هزت الآنسة لافينيا رأسها بالرفض وقالت بشكل يوحي بالأهمية: إن لدي أسبابي.

تمتت الآنسة ماربل: فهمتُ أنك أضعت دبوس زينة...

- من الذي تكلم بذلك؟ أظنها الفتاة. إنني -بصراحة- أكاد أكون واثقة من أنها هي التي أخذته، ثم خافت وأعادته. ولكن المرء لا يستطيع قول شيء طبعاً ما لم يتأكد تماماً.

ثم غيّرت موضوع الحديث وقالت: تعالي لرؤية إيميلي يا آنسة ماربل. أنا واثقة من أن هذا سيحسن وضعها.

تبعته الآنسة ماربل طائفة إلى حيث دقت لافينيا باباً، ثم أدخلت ضيفتها إلى أفضل غرفة في الشقة حيث كانت الستائر تحجب معظم الضوء الداخل إليها. كانت إيميلي مستلقية على سريرها تستمتع -كما هو واضح- بالعممة النسبية وبمعاناتها الغامضة.

أظهر الضوء الخافت أنها امرأة هزيلة يبدو عليها التردد،

مع كثير من الشعر الأصفر الذي غزاه الشيب، وقد لفته حول رأسها بلا ترتيب فانبثقت منه خصلات بحيث بدا الرأس كله أشبه بعش طائر لا يمكن لأي طائر يحترم نفسه أن يفتخر به.

شرحت إيميلي بصوت ضعيف وبعينين نصف مغمضتين أن هذا اليوم هو «أحد أيامها السيئة»، ثم قالت بنبرة حزينة: أسوأ ما في المرض هو شعور المرء بأنه أصبح عبئاً ثقیلاً على كل من حوله! يا عزيزتي لافي... أكره التسبب لك بالمتاعب، ولكن ليتك تملئين لي زجاجة الماء الساخن بالطريقة التي أحبها، فإذا كانت مملوءة عن آخرها تكون ثقيلة علي كثيراً، وإذا كانت ناقصة فإنها تبرد على الفور!

- أنا آسفة يا عزيزتي. أعطيني إياها، سأُنقص منها قليلاً.

- إن كنت ستفعلين ذلك فالأفضل أن تعيدي تعبئتها. أظن أنه لا يوجد كعك في البيت؟ لا، لا، هذا لا يهم، بوسعي الاستغناء عنه. بعض الشاي الخفيف وشرائح الليمون... لا يوجد ليمون؟ لا أستطيع -حقاً- شرب الشاي دون ليمون. أظن أن الحليب كان مُحَمَّضاً قليلاً هذا الصباح، مما جعلني ضد إضافة الحليب إلى الشاي. هذا لا يهم... بوسعي الاستغناء عن الشاي. إلا أنني أشعر بالضعف الشديد. يقولون إن المحار مُغذٍّ جداً. أتساءل إن كان بوسعي اشتهاه القليل منه؟ لا، لا، ستتعين كثيراً في الحصول عليه في هذا الوقت المتأخر من النهار. يمكنني الصوم حتى الغد.

تركت لافينيا الغرفة وهي تتمم بكلام غير مترابط عن ركوب دراجة إلى القرية، وابتسمت الأنسة إيميلي لضيقتها ابتسامة باهتة وقالت إنها تكره التسبب بمتاعب لأي شخص.

* * *

في مساء ذلك اليوم أخبرت الأنسة ماربل إدنا أنها تخشى أن لا تكون مساعيها قد تكللت بالنجاح، وقد انزعجت قليلاً إذ وجدت أن الإشاعات التي تطعن في أمانة غلاديس قد انتشرت في القرية.

في مكتب البريد دخلت الأنسة ويذربي في حديث معها قائلة: يا عزيزتي جين، لقد أعطتها المرأتان شهادة خدمة خطية ورد فيها أنها كانت مطيعة وهادئة ومحترمة، ولكن الشهادة لم تأت على ذكر الأمانة. يبدو لي أن ذلك شديد الدلالة! سمعت أن مشكلة وقعت بخصوص دبوس زينة. لا بد من أن في الأمر شيئاً، لأن المرء لا يتخلى عن خادمة -في هذه الأيام- إلا إذا كان الأمر خطيراً. سوف تجدان صعوبة بالغة في الحصول على خادمة أخرى، فلن تذهب الفتيات للعمل في أولد هول. لن تجد الآنستان سكينر خادمة أخرى، وعندها ربما نهضت تلك الأخت المتمارضة من فراشها لتفعل شيئاً!

وقد اغتمت القرية كثيراً عندما علمت أن الآنستين سكينر قد أحضرتا، عن طريق إحدى الوكالات، خادمة جديدة كانت نموذجاً مثالياً للخادمة بكل المقاييس.

قالت الآنسة لافينيا تخاطب الآنسة ماربل في محل السمّاك:
لديها شهادة تزكية تمتدحها وتوصي بتوظيفها من بيت عملت به
ثلاث سنوات، وهي تفضّل العمل في الريف، كما أنها تطلب
راتباً أقل مما تطلبه غلاديس. أشعر أننا محظوظتان كثيراً بها.
- حسناً، يبدو ذلك أروع من أن يتحقق.

بعد ذلك أصبح رأي قرية سينت ميري ميد أن الخادمة
المثالية ستتنصل في آخر لحظة ولا تأتي. ولكن أياً من هذه
التكهّنات لم يتحقق، واستطاعت القرية أن ترى هذه الخادمة
الكنز (واسمها ماري هيغنز) وهي تعبر القرية في سيارة أجرة
متجهة إلى أولد هول. ولا بد من الاعتراف بأن مظهرها كان
جيداً. كانت امرأة يوحى شكلها بالاحترام وتتأنق في لبسها.

وعندما زارت الآنسة ماربل أولد هول بعد ذلك (بمناسبة
تجنيد متطوعين للبيع في المهرجان الخيري السنوي) فتحت
ماري هيغنز لها الباب. بدت -بالتأكيد- خادمة رائعة في نحو
الأربعين من عمرها، ذات شعر أسود مرتب وخدين متوردين
وجسد مليء يستره ثوب بسيط أسود وفوقه صدرية الخدم
البيضاء وغطاء الرأس الذي تضعه الخادومات... "مثال النوع
القديم الرائع من الخادومات" كما وصفتها الآنسة ماربل لاحقاً،
بالإضافة إلى صوتها اللائق المسموع المحترم الذي يختلف كثيراً
عن نبرات غلاديس المرتفعة.

كانت الآنسة لافينيا أقل انزعاجاً من العادة، ورغم أنها

أسفت لأنها لن تستطيع المشاركة في البيع في المهرجان بسبب انشغالها بأختها، إلا أنها تبرعت بمبلغ كبير من المال ووعدت بإرسال رزمة من الماسحات وجوارب الأطفال لبيعها لصالح المهرجان.

شكرتها الأنسة ماربل على سخاء نفسها، وبعد ذلك قالت لافينيا: إنني أشعر -حقاً- بأنني مدينة لماري بالكثير، وأنا مسرورة جداً إذ كان لي من الحزم ما جعلني أتخلص من تلك الفتاة الأخرى. إن ماري لا تقدر بـثمن... تطبخ طبخاً لذيذاً وتخدم بصورة رائعة وتحافظ على شقتنا الصغيرة نظيفة جداً وتنظف تحت الفرشات كل يوم... كما أنها رائعة حقاً مع إيميلي!

سألتها الأنسة ماربل بسرعة عن صحة إيميلي فأجابت: آه، المسكينة! كانت مريضة جداً في المدة الأخيرة، وهي لا تملك رد ذلك طبعاً، ولكن وضعها يعقد الأمور أحياناً. تريد أن نطبخ لها أشياء معينة ثم عندما نحضر لها ما طلبته تقول إنها لا تستطيع أن تأكل الآن... ثم تريد الطعام بعد نصف ساعة فيتوجب إعداداه مرة أخرى. وهذا يعني الكثير من العمل، ولكن ماري لا تهتم بذلك أبداً لحسن الحظ، بل هي تقول إنها معتادة على العناية بالمرضى وتفهمهم. أمر مريح جداً.

- عظيم. إنكما محظوظتان.

- نعم، بالتأكيد. إنني أشعر بأن ماري قد جاءتنا هبة من السماء بالفعل.

- يبدو لي الأمر أروع من أن يكون حقيقياً. من شأني...
من شأني أن أحرص قليلاً لو كنت مكانك.

لم تستطع لافينيا سكينر إدراك مغزى هذه الملاحظة.
قالت: آه! أوكد لك أنني أبذل كل ما أستطيع لأجعلها ترتاح. لا
أعرف ماذا أفعل لو تركتنا.

قالت الآنسة ماربل: "لا أحسبها ستترك إلا عندما تصبح
مستعدة لذلك"، ثم نظرت إلى مضيفتها نظرة متمعنة.

قالت الآنسة لافينيا: لو قُدر للمرء أن يتخلص من أعباء
البيت لوجد أن ذلك يزيح عن كاهله عبئاً ثقيلاً، أليس كذلك؟
كيف تعمل خادمتك إدنا؟

- لا بأس بعملها. ليست من الطراز الرفيع، فهي ليست
كخادمتك ماري، ومع ذلك فإنني أعرف كل شيء عن إدنا لأنها
فتاة من القرية.

وعندما خرجت من الغرفة إلى الصالة سمعت صوت
المريضة يرتفع غاضباً: لقد تُركت هذه الكمادة بحيث جفت
تماماً... وقد أكد الدكتور ألبرتون بأنها يجب أن تبلل بماء جديد
باستمرار. اتركها هناك. أريد فنجاناً من الشاي وبيضة مسلوقة...
تذكّري أن تغليها مدة ثلاث دقائق ونصف فقط، وأرسلني لي
الآنسة لافينيا.

خرجت ماري القديرة من غرفة النوم وخاطبت لافينيا:

"الآنسة إيميلي تريدك يا سيدتي". ثم ذهبت لتفتح الباب للآنسة ماربل وساعدتها في لبس معطفها وتسليمها المظلة بطريقة بالغة التهذيب.

أخذت الآنسة ماربل المظلة ولكنها أسقطتها، ثم حاولت التقاطها عن الأرض فأسقطت حقيبتها التي انفتحت. جمعت ماري -بأدب- الأغراض المختلفة التي سقطت من الحقيبة... منديلاً، ودفتر مواعيد، ومحفظة جلدية قديمة، وبعض القطع النقدية، وحنة من حلوى النعنع.

استلمت الآنسة ماربل حبة النعنع وعلى وجهها علامات الارتباك وقالت: يا إلهي! لا بد من أن هذه الحلوى لابن السيدة كليمنت الصغير. أذكر أنه كان يمصّها، ثم أخذ حقيبتني ليلعب بها، ويبدو أنه وضع هذه الحبة فيها. إنها دبة كثيراً، أليس كذلك؟

- هل أخذها منك يا سيدتي؟

- آه، أرجوك. أشكرك كثيراً.

انحنى ماري لرفع الغرض الأخير عن الأرض، وكانت امرأة صغيرة صاحت الآنسة ماربل بحماسة وهي تأخذها منها: كم أنا محظوظة لأنها لم تنكسر!

وهكذا غادرت، فيما وقفت ماري -بأدب- قرب الباب وهي تحمل حبة الحلوى بوجه خال من أي تعبير.

* * *

ولمدة عشرة أيام كان على قرية سينت ميري ميد أن تتحمل
سماع روائع خادمة الأنستين لافينيا وإيميلي. وفي اليوم الحادي
عشر استيقظت القرية على النبأ المثير.

ماري المثالية، مفقودة! لم تنم في سريرها في الليلة التي
مضت، وقد كان الباب الأمامي للشقة مفتوحاً قليلاً... لقد
انسلّت بهدوء أثناء الليل خارج الشقة.

ولم تكن ماري وحدها المفقودة، إذ فقد معها -أيضاً-
دبوسا زينة وخمسة خواتم للآنسة لافينيا، وثلاثة خواتم أخرى
وقرطٌ وعقد وأربعة دبائيس زينة للآنسة إيميلي!

وكانت مجرد بداية لفصل من محنة، إذ فقدت السيدة
ديفيرو الشابة جواهر الألماس التي كانت تحتفظ بها في درج
غير مقفل، بالإضافة إلى بعض معاطف الفراء التي أهدت لها
في زفافها. كما أن بعض الجواهر قد سرقت من شقة القاضي
وزوجته مع مبلغ من النقود. أمّا ساكنة الشقة الرابعة في المجمع،
السيدة كارمايكل، فقد كانت الضحية الكبرى، إذ لم تفقد بعضاً
من أئمن جواهرها فحسب، بل كانت تحتفظ في شقتها بمبلغ
كبير من النقود اختفى هو أيضاً. كان ذلك في يوم عطلة خادماتها
جانيت، وكانت سيدتها معتادة على المشي في الأراضي التابعة
للبيت عند الغسق لإطعام الطيور كسرات الخبز. وبدا واضحاً
أن ماري، الخادمة المثالية، كانت تملك مفاتيح تناسب جميع
الشقق!

لا بد من الاعتراف بحدوث نوع من متعة التشفي بين أهالي سينت ميري ميد، فقد تباهت لافينيا كثيراً بخادمتها الرائعة ماري، وكثيراً ما كان المرء يسمع في القرية مَنْ يقول: وطوال الوقت لم تكن الفتاة سوى لصة عادية!

وقد تبع ذلك انكشاف أشياء مثيرة. لم تختف ماري اختفاء تاماً فحسب، ولكن الوكالة التي وظفتها وشهدت على صحة وثائقها دُعرت إذ اكتشفت أن ماري هيغنز التي قدمت طلب توظيف عندها وقدمت لها شهادات الخبرة، لم يكن لها وجود أبداً. كان ذلك اسماً لخدمة حقيقية عاشت مع أخت حقيقية لكاهن كبير، ولكن ماري هيغنز الحقيقية كانت تعيش الآن بهدوء في مكان في كورنول.

أُجبر المفتش سلاك على الاعتراف قائلًا: الأمر كله في غاية الذكاء، ورأيت أن هذه المرأة تعمل مع عصابة. لقد وقعت قضية مشابهة في نورثمبرلاند قبل سنة، ولم يُعثر على أي أثر للمسروقات، ولم يتم الإمساك بالفتاة. ولكننا سنكون هنا، في مَتش بينهم، أفضل منهم بكثير!

كان المفتش سلاك واثقاً من نفسه دائماً.

ومع ذلك مرت الأسابيع وظلت ماري هيغنز ضائعة، وقد بذل المفتش سلاك جهوداً مضاعفة ولكن دون جدوى. وبقيت الأنسة لافينيا حزينة، وانزعجت الأنسة إيميلي ودُعرت من حالتها إلى الحد الذي استدعت معه الدكتور هيدوك.

كانت القرية كلها متلهفة على معرفة رأيه في ادعاءات
الآنسة إيميلي عن سوء صحتها. ولم يكن بوسع أهل القرية
أن يسألوه عن ذلك طبعاً، ولكن معلومات مُرضية عن هذا
الموضوع تسربت من خلال السيد ميك، مساعد الصيدلي
الذي كان يخرج مع كلارا خادمة السيدة برايس رايدلي. وقد
عُرف -وقتها- أن الدكتور هيدوك قد وصف للمريضة مزيجاً من
الأسافيتيدا والفاليريان، وهي وصفة قال السيد ميك إنها كانت
تُعطى للمتمارضين في الجيش!

وبعد ذلك بوقت قصير عُلم أن الآنسة إيميلي لم تقتنع
بالرعاية الطبية التي نالتها، وقد أعلنت أنها تشعر أن من واجبها
(وصحتها على هذه الحال) أن تكون قريبة من الطبيب الأخصائي
في لندن الذي يفهم حالتها، وقالت إن في ذلك إنصافاً للافينيا.
وقد عُرضت الشقة بعد ذلك للإيجار.

بعد ذلك بأيام قليلة ذهبت الآنسة ماربل إلى مركز الشرطة
في مَتَش بينهام وهي مُحمرّة الوجه مضطربة، وطلبت رؤية
المفتش سلاك.

لم يكن المفتش سلاك يحب الآنسة ماربل، ولكنه كان
يعلم أن قائد الشرطة الكولونيل ميلشيت لم يكن يشاطره هذا
الرأي، ولذلك فقد استقبلها بشيء من التذمر.

- مساء الخير يا آنسة ماربل، ما الذي يمكنني فعله من
أجلك؟

- آه، أخشى أن تكون مستعجلاً يا عزيزي.

- لدي عمل كثير، ولكنني أستطيع اقتطاع بضع لحظات.

- أرجو أن أتمكن من قول ما أريده بطريقة صحيحة. من الصعب جداً أن يعبر المرء عمّا في نفسه، ألا تظن ذلك؟ لا أظنك ترى ذلك. ولكنني لم أتعلم وفق الأسلوب الحديث، فلم تكن عندنا إلا مربية أطفال كانت تعلمنا تاريخ الملوك في إنكلترا ومعلومات عامة... عن الدكتور برور، وعن وجود ثلاثة أنواع من أمراض الحنطة...

سألها المفتش سلاك وقد احمر وجهه: أجئت لتحدثيني عن أمراض الحنطة؟

أسرعت الأنسة ماربل لنفي أي رغبة لها في الحديث عن أمراض الحنطة: آه، لا، لا. كان مجرد مثال. كما كانت تعلمنا كيفية صناعة الإبر، وغير ذلك... موضوعات مشتتة، ولكنها لا تعلم المرء كيف يمضي قدماً إلى ما يريد قوله، وهو ما أريد القيام به الآن. إن قدومي إلى هنا يتعلق بخادمة الأنسة سكينر، غلاديس.

قال المفتش سلاك: بل ماري هيغنز.

- آه، نعم، تلك هي الخادمة الثانية. ولكنني أقصد غلاديس هولمز... فتاة وقحة بعض الشيء ومعجبة بنفسها كثيراً، ولكنها فتاة أمينة تماماً، ومن المهم جداً إدراك ذلك.

- لا توجد تهمة ضدها حسب علمي.

- نعم، أعرف ذلك، ولكن هذا يجعل الأمر أكثر سوءاً، لأن ذلك يعني أن الناس سيستمرون في شكوكهم. آه، أعرف أنني لا أعبر عما أريده بشكل جيد. الذي أقصده هو أن أهم شيء هو العثور على ماري هيغنز.

- نعم، بالتأكيد. وهل لديك أي أفكار بخصوص هذا الموضوع؟

- الواقع أن لديّ مثل هذه الأفكار. أيمكنني أن أسألك سؤالاً؟ ألا تفيدكم بصمات الأصابع؟

- آه، في هذه النقطة - بالذات - كانت الفتاة أذكى من تقديراتنا، إذ يبدو أنها كانت تقوم بمعظم عملها وهي تلبس قفازات من المطاط أو قفازات الخدم. وكانت حريصة جداً بحيث مسحت كل شيء في غرفة نومها وعلى المجلى... لم نستطع العثور على بصمة واحدة لأصابعها في البيت!

- لو حصلتم على بصماتها، فهل سيساعدكم هذا؟

- قد يساعدنا يا سيدتي. ربما كانت البصمات معروفة لدى شرطة سكوتلانديارد، فأنا أميل إلى الظن بأن هذه ليست أول عملية لها!

أومأت الأنسة ماربل برأسها مبتهجة، ثم فتحت حقيبتها وأخرجت منها علبة صغيرة بداخلها مرآة صغيرة ملفوفة بالقطن الطبي.

قالت الأنسة ماربل: هذه المرأة عليها بصمات الخادمة.
أظن أنها ستكون كافية... إذ كانت قد أمسكت بأصابعها حبة
حلوى دبقة قبلها بلحظة.

حدق المفتش سلاك إليها وقال: هل أخذت بصمات
أصابعها متعمدة؟

- بالطبع.

- إذن كنت تشكين فيها؟

- نعم، فقد خطر لي أنها أروع من أن تكون حقيقية. وقد
أخبرت الأنسة لافينيا - عملياً - بذلك، ولكنها لم تفهم التلميح!
قال المفتش سلاك وهو يستعيد توازنه: حسناً، أنا شاكر
لك كثيراً. سنرسل هذه البصمات إلى شرطة سكوتلانديارد لنرى
ما يقولونه.

ثم سكت فيما كانت الأنسة ماربل قد أمالت رأسها جانباً
وراحت تنظر إليه نظرات ذات مغزى كبير، ثم قالت: ألا ترى
أن من الممكن أن تبحث في مكان أقرب إلينا يا حضرة المفتش؟

- ماذا تقصدين يا آنسة ماربل؟

- من الصعب شرح ذلك، ولكن عندما يصادفك شيء
غريب فإنك تلاحظه... رغم أن الأشياء الغريبة قد تكون في
الغالب تافهة. لقد أحسست بذلك من البداية، أقصد بخصوص
غلاديس ودبوس الزينة. إنها فتاة أمينة ولم تسرق الدبوس. إذن

لماذا ظنت الآنسة سكينر أنها فعلت ذلك؟ إن الآنسة سكينر ليست بالغبية، بل هي أبعد ما تكون عن ذلك! لماذا كانت حريصة جداً على إبعاد الفتاة رغم أنها كانت فتاة جيدة في وقت يعز فيه وجود خدم؟ كان ذلك تصرفاً غريباً، ولذلك تساءلت في نفسي... تساءلت كثيراً. كما لاحظت شيئاً آخر غريباً! إن الآنسة إيميلي مصابة بوسواس المرض، لكنها أول موسوسة لم ترسل في طلب طبيب على الفور. إن المصابين بوسواس المرض يحبون الذهاب إلى الأطباء، لكن الآنسة إيميلي لم تكن كذلك!

- ما الذي تلمّحين له يا آنسة ماربل؟

- إنني أَلْمَحُ إلى أن الآنسة لافينيا والآنسة إيميلي امرأتان غريبتان. الآنسة إيميلي تقضي كل وقتها تقريباً في غرفة مظلمة. ولو كان ذلك الشعر هو شعرها الطبيعي وليس باروكة فإنني سأكون مغفلة جداً! ورأيي هو التالي: إن من الممكن -تماماً- بالنسبة لامرأة نحيلة شاحبة منتحبة رمادية الشعر أن تكون هي نفسها امرأة سوداء الشعر متوردة الخدين ممتلئة الجسم... كما أنني لم أجد أحداً رأى الآنسة إيميلي وماري هيغنز معاً في وقت واحد.

توقفت الآنسة ماربل قليلاً ثم مضت قائلة: لقد كان لديهما الكثير من الوقت للحصول على نسخ لجميع المفاتيح ولمعرفة كل شيء عن المستأجرين الآخرين... ثم، بعد ذلك، التخلّص من الفتاة الخادمة. وذات ليلة تخرج الآنسة إيميلي فتمشي بسرعة عبر البساتين وتصل إلى محطة القطارات في اليوم التالي بصفتها

ماري هيغنز. وبعد ذلك ، وفي اللحظة المناسبة ، تختفي ماري هيغنز وتبدأ مطارقتها. سأخبرك أين تجدها يا حضرة المفتش: على أريكة الأنسة إيميلي سكينر! خذ بصمات أصابعها إن لم تصدقني ، ولكنك ستجدني على صواب! ليست الأنستان سكينر إلا زوجاً من اللصوص الأذكاء ، ولا شك في أنهما على علاقة مع شخص ذكي يستلم منهما مسروقاتهما. ولكنهما لن تفلتا من العقوبة هذه المرة! لن أسمح بالإساءة لإحدى فتيات قريتي والطعن في أمانتها بهذه الطريقة! إن غلاديس هولمز فتاة أمينة لا تشوبها شائبة ، وسيعرف الجميع هذه الحقيقة. وداعاً!

قالت الأنسة ماربل ذلك كله ثم خرجت قبل أن يلتقط المفتش سلاك أنفاسه ويتمتم قائلاً: وووه! أتراها تكون مُحَقَّة؟ وسرعان ما وجد أن الأنسة ماربل كانت مُحَقَّة مرة أخرى.

* * *

هنا الكولونيل ميلشيت مفتشه سلاك على كفاءته ، وقامت الأنسة ماربل بدعوة غلاديس لتناول الشاي عندها مع إدنا وكلمتها -بجدية- عن ضرورة الاستقرار في وظيفة جيدة عندما تحصل عليها.

* * *

اغانا كريسي

قصص قصيرة
من بطولة

تومي وتوبنس

القصص مختارة من مجموعة

«شركاء في الجريمة»

اغتاثا كريسي

شركاء في الجريمة

طُبعت للمرة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٢٩

ترجمة: محمود الخطيب

مراجعة الترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسون



الأجبال
للترجمة
والنشر

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لمجموعة أغاثا كريستي القصصية
المنشورة أول مرة عام ١٩٢٩ بعنوان

Partners in Crime

Copyright Agatha Christie 1929

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بآية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة

٢٠٢٠

الفصل الأول

جنّة في الشقة

غيرت زوجة توماس بيرسفورد مكان جلوسها على الأريكة ونظرت خارج نافذة شقتها باكتئاب. لم يكن المشهد أمامها متسعاً ممتداً؛ لا شيء سوى مجّمع شقق صغير على الجانب الآخر من الشارع. تنهدت السيدة بيرسفورد ثم تثأبت وقالت: أتمنى لو أن شيئاً يحدث!

رفع زوجها بصره إليها مؤنباً وقال: احذري يا توبنس، فإن تشوّك هذا إلى الإثارة يخيفني.

تنهدت توبنس وأغمضت عينيها وقالت وهي تسبح في خيالها: وهكذا تزوج تومي وتوبنس وعاشا عيشة سعيدة، وبعد مرور ست سنوات كانا ما يزالان يعيشان عيشة سعيدة... من الغريب أن تجد كل شيء مختلفاً عما كنت تتوقعه تمام الاختلاف.

- هذه عبارة عميقة جداً يا توبنس، ولكنها ليست أصيلة من بنات أفكارك؛ لقد ردّدها بعض الشعراء من قبل... واسمحي لي أن أقول إنهم قالوها بطريقة أفضل منك.

أكملت توبنس تقول: قبل ست سنوات كنت واثقة تماماً أن الحياة ستكون أغنية طويلة بهيجة بوجود ما يكفي من المال وبوجودك زوجاً لي، كما وصفها أحد الشعراء الذين تعرف الكثير عنهم كما يبدو.

سألها تومي بفتور: وما الذي سبب لك الملل... أنا أم المال؟

- «الملل» ليست هي الكلمة الدقيقة التي تعبّر عن الحال. كل ما في الأمر أنني اعتدت على النعم التي أعيشها، تماماً كما لا يفكر المرء بنعمة قدرته على التنفس من أنفه حتى يصيبه الزكام.

- أترين أن عليّ أن أهملك قليلاً، فأصطحب امرأة أخرى إلى النوادي مثلاً؟

قالت توبنس: لا فائدة من هذا، فلن تكسب منه إلا رؤيتي وقد سبقتك إلى هناك مع رجال آخرين! وعندها سأكون متيقنة تماماً من أنك لا تهتم بالنساء الأخريات أبداً، بينما لن تستطيع الجزم أبداً بعدم اهتمامي أنا بالرجال الآخرين. إن النساء أكثر كيداً ودهاء من الرجال كما تعلم.

- إن الرجال لا ينالون أعلى الدرجات إلا في التواضع فقط. ولكن ما الذي دهاك يا توبنس؟ لماذا هذا القلق؟

- لا أدري. أريد أن تحدث أشياء، أشياء مثيرة! ألا تحب أن تعود إلى مطاردة الجواسيس الألمان مرة ثانية يا تومي؟ فكّر في أيام الخطر التي مرت علينا ذات يوم. طبعاً أعرف أنك تعمل في جهاز المخابرات الآن، لكنه ليس سوى عمل مكثبي بحت.

- هل تقصدين أنك تفضلين إرسالني إلى مجاهل روسيا متتكرراً
في شخصية بلشفي مثلاً؟

قالت توبنس: هذا لن ينفعني، فلن يسمحوا لي بالذهاب معك
مع أنني بحاجة ملحة إلى عمل شيء، أي شيء أعمله... هذا ما
أردده طوال اليوم.

قال تومي وهو يلوح بيده: وماذا عن واجبات المرأة؟

- إن عشرين دقيقة من العمل بعد الإفطار كل صباح تجعل
أمر المنزل تسير على ما يرام. هل لديك أي شكوى بهذا الصدد؟
- أبداً؛ إن تدبيرك لأمر المنزل كامل وممتاز يا توبنس.

- يعجبني العرفان بالجميل.

ثم أكملت تقول: لديك عمل بالطبع. ولكن أخبرني يا تومي،
ألا تشعر في قرارة نفسك بتوق شديد إلى الإثارة، إلى حدوث أشياء؟
قال تومي: لا أشعر بأي شيء من ذلك، على الأقل هذا ما أظنه.

تنهدت توبنس وقالت: يا لتحفظ الرجال! ألم تشعر يوماً أبداً
برغبة داخلية جامحة بالمغامرة والحياة المثيرة؟

- ما الذي كنت تقرئينه يا توبنس؟

أكملت توبنس تقول: فكّر كم هو مثير أن نسمع طرقات قوية
على الباب، ونذهب لفتحه فنرى رجلاً ميتاً داخلًا يترنح.
قال توماس منتقداً: لا يمكن أن يترنح إذا كان ميتاً.

- أنت تعرف ما أقصده. إنهم يدخلون مترنحين دائماً قبل أن يموتوا ويقعوا عند قدميك متممين ببعض الكلمات المبهمة، كعبارة «النمر المرقط» مثلاً...

- أنصحك بأخذ جرعة من فلسفة شوبنهاور أو كانط للشفاء من هذه الأفكار.

- إن مثل هذه الوصفة تناسبك أنت، فأنت الذي أصبحت تسمن وترتاح.

أجابها توماس كمن شعر بالظلم والإهانة: أبداً، وعلى أي حال فأنت نفسك من يقوم بتمارين إنقاص الوزن.

- الجميع يقومون بتلك التمارين، وعندما قلت إنك «تسمن» فقد كنت أنكلم مجازاً، فأنت تزدهر وتغدو بادي الصحة والراحة.

- لا أدري ما الذي دهاك!

- إنها روح المغامرة.

- ما الذي جرى لك حقاً يا توبنس؟ أنت لم تتحدثني هكذا من قبل.

- نعم، لكنني كنت أغلي في داخلي منذ وقت طويل. من الخطورة أن تحصل على كل ما تريد، بما في ذلك المال الكافي لتشتري به الأشياء... باستثناء القبعات بالطبع.

- إن لديك أكثر من أربعين قبعة وكلها متشابهة.

- القبعات هكذا. لكن الحقيقة أنها غير متشابهة؛ إن فيها لمسات طفيفة مختلفة. وقد رأيت قبعة جميلة في محل فيوليت صباح اليوم...

- إذا لم يكن لديك أفضل من الذهاب إلى الأسواق لشراء القبعات فلست بحاجة...

- هذه هي القضية؛ كما تقول تماماً: لو كان لدي شيء أفضل من ذلك أفعله! أظن أن عليّ القيام بأعمال جيدة. آه، أتمنى أن تحدث أشياء مثيرة يا تومي. أشعر... أشعر حقاً أن هذا سيكون مفيداً لنا. لو استطعنا أن نجد جنية...

- آه، إن كلامك هذا لمن طرائف المصادفات.

نهض فذهب إلى ناحية أخرى من الغرفة، وفتح أحد الأدراج في مكتبه فأخرج منه صورة صغيرة أحضرها لتوبنس.

قالت توبنس: آه! إذن فقد حمّضت الصور؟ أي صورة هذه، أهي الصورة التي التقطتها أنت لهذه الغرفة أم التي التقطتها أنا؟

- إنها الصورة التي التقطتها أنا، أما صورتك فلم تظهر، فأنت تصويرين دون ضوء كافٍ. هكذا تفعلين دائماً.

- أنت تفرح عندما تجد شيئاً يمكنك أن تفعله أفضل مني.

قال تومي: هذه ملاحظة حمقاء، لكنني لن أعلّق عليها في الوقت الحالي. ما أردت أن أريك إياه هو هذه...

أشار بإصبعه إلى بقعة صغيرة بيضاء على الصورة، فقالت

توبنس : هذا خدش في الفيلم.

- أبدأ؛ هذه جنيّة يا توبنس.

- أنت أحق يا تومي.

- انظري بنفسك.

أعطاهَا عدسة مكبرة، ففحصت توبنس الصورة بدقة. وبشيء من سعة الخيال كان بإمكان ذلك الخدش أن يبدو للنّاظر مخلوقاً صغيراً له أجنحة على سياج المدفأة.

صاحت توبنس: إن لها أجنحة... يا للمتعة؛ جنيّة حقيقية تعيش في شقتنا! آه، تومي، هل تعتقد أنها ستحقق لنا أمنياتنا؟

- ستعرفين في الحال. لقد كنتِ طوال المساء تتمنين من كل قلبك حدوث شيء.

في تلك اللحظة فُتح الباب ودخل غلام طويل في الخامسة عشرة من عمره يبدو حائراً بين أن يكون كبير خدام أو بواباً، ثم سأل بأسلوب فخم حقاً: هل أنت في البيت يا سيدتي؟ لقد قُرع جرس الباب الأمامي قبل لحظة.

تنهّدت توبنس بعد أن أعلنت موافقتها على فتح الباب، وحين خرج ألبرت قالت: أتمنى أن لا يكثر ألبرت من الذهاب إلى السينما... إنه يمثل الآن دور كبير الخدم بشكل جيد، والحمد لله أنني شفيتها من عادة طلب بطاقات الزوار وإحضارها على طبق.

فُتح الباب ثانية وقال ألبرت كمن يعلن عن لقب ملكي: السيد كارتر.

تمتم تومي بدهشة: الرئيس؟!

قفزت توبنس وهي تصيح من الفرحة، ثم حَيَّت رجلاً طویل القامة أشيب الشعر ذا عينين نفاذتين وابتسامة متعبة: سيد كارتر، أنا سعيدة برؤيتك.

- هذا جيد يا سيدة توبنس. والآن أجيبي على سؤال: كيف حياتك بشكل عام؟

- مُرضية لكنها مملة.

قال السيد كارتر: ممتاز؛ واضح أنني سأجرك في أنسب مزاج.

قالت توبنس: يبدو كلامك مثيراً.

دخل ألبرت حاملاً صينية الشاي وهو يتصنع دور كبير الخدم، وبعد أن أتم عملية الضيافة دون وقوع أي حادث وخرج وأغلق الباب وراءه اندفعت توبنس تقول مرة أخرى: لا بد أنك كنت تعني شيئاً يا سيد كارتر، أليس كذلك؟ هل سترسلنا في مهمة إلى مجاهل روسيا؟

- ليس هذا تماماً.

- ولكن ثمة شيء.

- نعم، ثمة شيء. لا أظنك من النوع الذي يرتعد خوفاً من

المغامرات يا سيدة توبنس ، أليس كذلك؟

لمعت عينا توبنس من الدهشة والإثارة ، ومضى السيد كارتر قائلاً: يوجد عمل ينبغي إنجازه لصالح الدائرة ، وقد خُيِّلَ إليّ... مجرد خيال... أنه قد يناسبكما معاً.

قالت توبنس: هيا ، أخبرنا عنه.

قال السيد كارتر وهو يرفع الصحيفة عن الطاولة: أرى أنك معتاد على قراءة صحيفة الديلي ليدِر؟

قلب الجريدة إلى صفحة الإعلانات وأشار بإصبعه إلى إعلان معين ، ثم دفع الصحيفة إلى تومي وقال: اقرأ هذا بصوت مرتفع.

استجاب تومي وقرأ: "وكالة التحري الدولية ، المدير ثودور بلانت. تحقيقات خاصة ، عدد كبير من عملاء التحري السريين ذوي المهارة العالية ، سرية متناهية ، الاستشارات مجانية. العنوان: ١١٨ شارع هيلهام".

نظر إلى السيد كارتر نظرة تساؤل ، فأوماً الأخير برأسه وقال: وكالة التحريات هذه كانت تعاني من الإخفاق منذ بعض الوقت ، وقد اشتراها صديق لي مقابل ثمن زهيد. إننا نفكر في إحياؤها من جديد لمدة ستة أشهر على سبيل التجربة ، وخلال هذا الوقت يجب أن يكون لها مدير بالطبع.

سأله تومي: وماذا عن ثودور بلانت المذكور في الإعلان؟

- لقد كان السيد بلانت رجلاً لا يتحلى بالكتمان ، والواقع أن

إدارة سكتلنديارد قد اضطرت إلى التدخل. إن السيد بلانت محتجّز الآن ولن يخبرنا بنصف ما نريد أن نعرفه.

قال تومي: فهمت يا سيدي، على الأقل أظن أنني فهمت.

- أقترح عليك أخذ إجازة من مكتبك لمدة ستة أشهر... بدعوى المرض مثلاً. وإذا كنت تريد إدارة وكالة التحري باسم ثيودور بلانت فهذا من شأنك.

نظر تومي إلى رئيسه بهدوء وقال: هل توجد أي تعليمات يا سيدي؟

- أظن أن السيد بلانت قد قام ببعض الأعمال في بلاد أجنبية. انتبه إلى رسائل زرقاء اللون عليها طوابع روسية من تاجر لحوم متلف إلى العثور على زوجته التي جاءت إلى هذا البلد لاجئة منذ سنوات. إذا أزلت الطابع ستجد أن الرقم ١٦ مكتوب تحته، خذ نسخة من هذه الرسائل وابعث لي بالرسائل الأصلية، وإذا جاء أحد إلى المكتب وأشار إلى الرقم ١٦ فأبلغني على الفور.

- فهمت يا سيدي، وفيما عدا هذه التعليمات؟

أخذ السيد كارتر قفازيه عن الطاولة، واستعدّ للمغادرة قائلاً: تستطيع أن تدير الوكالة كما تشاء. أظن أن مما يسلي السيدة توبنس أن تجرب حظها في عمل التحريات.

* * *

الفصل الثاني

إبريق الشاي

احتلَّ السيد تومي بيرسفورد وزوجته توبنس مكاتب وكالة التحريات الدولية بعد أيام قليلة. كانت الوكالة في الطابق الثاني من مبنى لحقه بعض الخراب في بلومزبري. وفي المكتب الخارجي الصغير تَخلى ألبرت عن دور كبير الخدم وتولى دور صبيّ المكتب أو الساعي، وهو دور بلغ في أدائه حد الكمال. كانت صورة هذه الشخصية في ذهنه تتوافق مع شعر أشعث ويدين لوثَّهما الحبر.

وكان هناك بابان يؤدّيان من المكتب الخارجي إلى المكاتب الداخلية، وقد نُقِشَ على أحدهما كلمة «الكَتَبَة» وعلى الباب الآخر كلمة «خاص». كان هذا الباب الأخير يؤدي إلى غرفة صغيرة ومريحة تحتوي على مكتب كبير فخم وبعض الكراسي الجلدية والكثير من الملفات التي ألصقت عليها بشكل فني قصاصات بمحتوياتها، رغم أنها كانت فارغة كلها.

جلس السيد بلانت المزعوم وراء المكتب محاولاً أن يبدو وكأنه كان يدير وكالة تحريات طوال حياته. وكان هناك جهاز

هاتف بالقرب منه بالطبع ، وقد تدرب هو وتوبنس على العديد من الاستخدامات والحيل الجيدة الخاصة بالهاتف ، كما أن ألبرت تلقى أيضاً تعليمات خاصة به.

وفي الغرفة المجاورة كانت توبنس تمارس دور طابِعة ، وكان هناك ما يقتضيه الأمر من طاولات وكراسي ، وهي من نوعية أدنى من تلك الموجودة في غرفة الرئيس. كما كان فيها موقد غاز صغير لصنع الشاي ، والواقع أنه لم يكن ينقص المكتب شيءٌ باستثناء الزبائن.

كان لدى توبنس في فورة حماسة البداية بعض الآمال البراقة ، فقد قالت وقتها: سيكون رائعاً جداً؛ سوف نصطاد المجرمين ونكتشف الحلّي المسروقة ونعثر على الأشخاص الضائعين ونكشف المختلسين...

وعند هذه النقطة أحس تومي أن من واجبه إلقاء ملاحظة أكثر واقعية: اهدئي يا توبنس وحاولي نسيان القصص الرخيصة التي اعتدت قراءتها. إن زبائننا الوحيدين (إن جاءنا أي زبائن) سيكونون فقط الأزواج الذين يريدون تعقب زوجاتهم والزوجات اللاتي يردنَ تعقب أزواجهن... إن الحصول على أدلة لأغراض الطلاق هو مصدر العيش الوحيد لرجال التحري في هذه الأيام.

قالت توبنس باستياء: لن نتعامل مع قضايا طلاق؛ يجب أن نرفع من مستوى مهنتنا الجديدة.

قال تومي بارتياب: نـ... نعم.

* * *

والآن، بعد مضي أسبوع على شروعهما في العمل أخذتا يتبادلان الآراء بشيء من الاكتئاب. تنهد تومي وقال: ثلاث نساء حمقاوات ذهب أزواجهن لقضاء عطلة نهاية الأسبوع بعيداً عنهن... هل جاء أحدٌ عندما خرجت لتناول الغذاء؟

تنهدت توبنس بحزن وقالت: رجل بدين عجوز له زوجة طائشة متقلبة. لقد قرأت في الصحف لسنوات طويلة أن آفة الطلاق تنتشر، ولكنني لم أدرك حجم المشكلة إلا في هذا الأسبوع الماضي. لقد سئمت وتعبت من كثرة ما قلت بأننا لا نتولى حالات الطلاق.

ذكّرها تومي: لقد كتبنا هذا في إعلانات الصحف الآن، لذلك لن يكون الحال سيئاً جداً.

قالت توبنس بصوت كئيب: كما أنني واثقة من أننا ننشر إعلاناتنا بطريقة جذابة ومغرية. ولكنني لن أهزم؛ إذا لزم الأمر سوف أرتكب جريمة بنفسني وتقوم أنت بالتحري عنها.

- وما فائدة ذلك؟ فكري في مشاعري عندما أودّعك أطفـ^د وداع وأنت ماضية إلى المشتقة.

- يجب أن نفعل شيئاً إزاء هذه الحال. ها نحن نجلس هنا نفور بالموهبة ومع ذلك ليست لدينا فرصة لممارستها.

- أحبُّ تفاؤلك البهيج يا توبنس. يبدو أنك لا تُشكِّين في مواهبك أبداً.

قالت توبنس وهي تفتح عينيها باتساع: بالطبع لا أشك.

- ولكن تذكرني أنك لا تملكين أي خبرة عملية.
- لقد قرأت كل رواية بوليسية نُشرت في السنوات العشر الأخيرة.

- وكذلك أنا، لكنني أشعر بأن هذا لن يساعدنا كثيراً.
- لقد كنت متشائماً دوماً يا تومي. إن الثقة بالنفس شيء عظيم.
- حسناً، وأنت تثقين بنفسك بلا شك.

- الأمر سهل بالطبع في الروايات البوليسية، لأن المرء يعمل بعكس السير الطبيعي للحدث. أقصد إن عرف المرء الحل فإنه يستطيع ترتيب مفاتيح اللغز. إنني أتساءل الآن...

سكتت وعيناها تطرفان، فقال تومي مستفسراً: نعم؟

- لديّ فكرة ما. إنها لم تأت بعد، لكنها آتية.
ثم نهضت من مقعدها وقد حزمت أمرها وقالت: أظني سأذهب وأشتري القبعة التي أخبرتك عنها.

- يا إلهي! قبعة أخرى؟!

- إنها قبعة جميلة جداً.

خرجت وعلامات الحزم بادية على وجهها.

* * *

سألها تومي عن تلك الفكرة أكثر من مرة في الأيام التي أعقبت ذلك. كانت توبنس تهز رأسها وتطلب منه أن يمنحها المزيد من

الوقت، وبعد ذلك في صباح يوم رائع وصل الزبون الأول فُنْسِي كل ما عداه.

طرق أحدهم الباب الخارجي للمكتب فصاح ألبرت وقد وضع حبة نعنec بين شفتيه: "ادخل"... ثم ما لبث أن ابتلع الحبة كلها في غمرة مفاجأته وفرحته، فقد بدا القادم زبوناً حقيقياً. كان شاباً طويل القامة يرتدي ملابس راقية أنيقة، وقد وقف عند الباب متردداً. بدا في الرابعة والعشرين من عمره تقريباً، شعره أملس مصفوف إلى الوراء بشكل جميل وعيناه محفوفتان باللون الوردى.

وفي غمرة النشوة ضغط ألبرت على زر تحت طاولته، وعلى الفور انطلقت أصوات الآلة الكاتبة كمدفع رشاش قادمة من غرفة الكتبة، إذ كانت توبنس قد شرعت في عملها المطلوب.

وقد أدى ضجيج المهنة هذا إلى زيادة ارتباك ورهبة الشاب، فقال: عفواً... هل هذا هو مكتب وكالة التحريات... مكتب بلانت للتحريات؟

سأله ألبرت: هل تريد أن تتحدث مع السيد بلانت نفسه يا سيدي؟

طرح ألبرت هذا السؤال بشيء من التشكيك في إمكانية ترتيب مثل هذا الأمر.

- حسناً، نعم أيها الغلام، هذا هو الهدف. هل يمكن هذا؟

- أظن أنه ليس لديك موعد؟

بدأت لهجة الزائر تميل إلى الاعتذار أكثر فأكثر وهو يقول:
أخشى أنني لم أحجز موعداً.

- من الحكمة أن تتصل قبل أن تأتي يا سيدي. إن السيد بلانت مشغول جداً، وهو الآن مشغول بمكالمة هاتفية؛ لقد اتصلت به إدارة سكتلنديارد لتطلب استشارته.

بدأ الشاب متأثراً بما سمع، فخفض ألبرت صوته ونطق بمعلومة بأسلوب ودي: لقد وقعت سرقة لوثائق خطيرة من أحد المكاتب الحكومية ويريدون من السيد بلانت أن يتولى القضية.

- آه! لا بد أنه شخص مهم.

- إنه الرئيس يا سيدي.

جلس الشاب على كرسي صلب دون أن يدرك حقيقة أنه كان تحت مراقبة دقيقة من توبنس وتومي اللذين كانا ينظران إليه من خلال ثقب في باب مكتب كل واحد منهما. وعلى الفور رنّ الجرس الموضوع فوق طاولة ألبرت بقوة، فقال ألبرت: الرئيس غير مشغول الآن، سأرى إن كان باستطاعته مقابلتك.

دخل ألبرت من الباب المكتوب عليه كلمة «خاص»، ثم عاد بعد قليل وهو يقول: هلاً دخلت من هنا يا سيدي؟

أدخل الزائر إلى المكتب الخاص، فنهض لتحيته شابٌ مرح أحمر الشعر بادي النشاط والمقدرة وقال: تفضل بالجلوس. هل ترغب في استشارتي؟ أنا السيد بلانت.

- آه، أرى أنك شاب في مقتبل العمر؟

قال تومي وهو يلوّح بيده: لقد ولّى عهد كبار السن. مَنْ الذي تسبب في الحرب؟ كبار السن. مَنْ المسؤول عن الوضع الحالي للبطالة؟ كبار السن. مَنْ المسؤول عن كل فساد حدث؟ مرة أخرى: كبار السن!

قال الزبون: أظن أنك على حق. أعرف رجلاً شاعراً (أو أنه يسمي نفسه شاعراً على الأقل) وهو يتحدث مثلك دائماً.

- دعني أخبرك يا سيدي: لا يوجد شخص واحد من الموظفين المدربين تدريباً عالياً عندي يزيد عمره يوماً واحداً عن الخامسة والعشرين. هذه هي الحقيقة.

وبما أن الموظفين المدربين تدريباً عالياً كانوا لا يتجاوزون توبنس وألبرت فإن عبارته كانت الصدق بعينه.

قال السيد بلانت: والآن... إلى الحقائق.

قال الشاب: أريدك أن تعثر لي على شخص مفقود.

- حسناً، هل تعطيني التفاصيل؟

- الأمر صعب. أقصد أنها مسألة حساسة جداً، فهذا ربما أثار غضبها. أقصد... إن الأمر يصعب شرحه.

نظر إلى تومي نظرات العاجز، فأحسّ تومي بالضيق. كان على وشك الخروج لتناول الغذاء، لكنه أحس بأن انتزاع الحقائق من هذا الزبون قد يستغرق وقتاً طويلاً وقد يكون عملاً مملاً.

- هل اختفت بمحض إرادتها أم أنك تشك في اختطاف؟

- لا أدري... لا أعرف أي شيء.

تناول تومي دفتر ملاحظات وقلماً وقال: أعطني اسمك قبل كل شيء. إن لدى صبي المكتب تعليمات بأن لا يسأل عن أسماء، وبهذه الطريقة تبقى الاستشارات في غاية السرية.

- آه، جميل، فكرة رائعة جداً. اسمي... اسمي سميث.

قال تومي: آه، لا. الاسم الحقيقي من فضلك.

نظر الزائر إليه خائفاً وقال: سينت فينسينت... لورانس سينت فينسينت.

قال تومي: شيء غريب أن لا يحمل اسم سميث حقاً إلا قلة قليلة من الناس. شخصياً أنا لا أعرف أحداً بهذا الاسم، لكن تسعة أعشار الرجال الذين يودون إخفاء أسمائهم الحقيقية يعطون اسم سميث. إنني أكتب رسالة علمية حول هذا الموضوع.

في تلك اللحظة رنّ جرس على مكتبه رنات خفيفة. كان معنى هذا أن توبنس تطلب أن تتولى الأمر، وكان تومي التّوّاق لتناول غدائه والذي شعر بعدم التعاطف مع السيد سينت فينسينت مسروراً جداً بتسليمها دفعة العمل.

قال وهو يرفع السّماعة: أرجو المَعذرة.

ظهرت على وجهه تغيرات سريعة من الدهشة والرعب والابتهاج... ثم قال يخاطب الطرف الآخر على الخط: غير معقول!

رئيس الوزراء نفسه؟ بالطبع سأتي على الفور في هذه الحالة.

وضع السماعه والتفت إلى زبونه قائلاً: يا سيدي العزيز، أرجو منك المَعذرة. استدعاء عاجل جداً. لو تشرح حقائق القضية لسكربتيري فهي قادرة على التعامل معها.

ثم سار نحو الباب الفاصل بين الغرفتين ونادى: آنسة روبنسون.

دخلت توبنس بملابسها الأنيقة المحتشمة وشعرها الأسود الناعم، فعَرَفَ تومي كلاً منهما بالأخر وانصرف.

قالت توبنس بصوت رقيق وهي تجلس ممسكة بدفتر ملاحظات السيد بلانت وقلمه: أرى أن سيدة تهمك جداً قد اختفت يا سيد سينت فينسينت. هل هي سيدة شابة؟

قال سينت فينسينت: آه، إنها شابة صغيرة و... وجميلة جداً. ازداد وجه توبنس تجهماً وقالت: أرجو أن لا...

سألها السيد سينت فينسينت بقلق حقيقي: هل تعتقدين أن شيئاً قد حدث لها؟

ردّت عليه توبنس وهي تتصنع معنويات كاذبة: آه، يجب أن نتفائل دائماً.

ولكن لهجتها ضيّقت صدر السيد سينت فينسينت كثيراً.

- أرجوك يا آنسة روبنسون، لا بد أن تفعلني شيئاً. لا تهتمي بالتكاليف، فالعالم كله لا يساوي مكروهاً يحدث لها. إنك تبدين

متعاطفة جداً، ولذلك لن أتردد في البوح لك بأني أموت حُباً بتلك الفتاة. إنها فتاة رائعة، رائعة بلا شك.

- من فضلك أخبرني عن اسمها وعن كل شيء عنها.

- اسمها جانيت... ولا أعرف بقية اسمها. إنها تعمل في محل لبيع القبعات اسمه محل مدام فيوليت في شارع بروك، وهي فتاة مستقيمة، وقد وبختني أكثر من مرة. ذهبت إلى هناك بالأمس وانتظرت خروجها من المحل... الكل خرج إلا هي. ثم عرفت أنها لم تذهب إلى عملها منذ الصباح وأنها لم تبلغ بأية ملاحظة، وكانت المدام العجوز صاحبة المحل غاضبة جداً من هذا. وقد حصلت على عنوانها وذهبت إليه، فأخبروني بأنها لم تعد إلى سكنها في الليلة الماضية وأنهم لا يعرفون أين هي. لقد أصبت بالذعر وفكرت في أن أذهب إلى الشرطة، لكنني أعرف أن جانيت ستغضب كثيراً مني لقيامي بذلك إن كانت حقاً بخير أو كانت قد خرجت بإرادتها. ثم تذكرت أنها حدثني بنفسها عن إعلانكم الذي نُشر في الصحيفة ذات يوم، وقالت لي إن إحدى زبائن المحل قد تحدثت عن قدرتكم وسريتكم بحماسة، لذلك فقد جئت إليكم مباشرة.

قالت توبنس: فهمت. وما هو عنوان سكنها؟

أعطاهما الشاب العنوان، فقالت: أظن أن هذا يكفي. هذا يعني... هل أفهم من هذا أنك خطيب هذه الفتاة؟

احمرّ وجه السيد سينت فينسينت وقال: لا، ليس كذلك بالضبط. لم أفاتها بشيء من ذلك، لكن أستطيع أن أقول لك إنني أعترم طلب يدها للزواج حالما أراها... هذا إن رأيته مرة أخرى.

وضعت توبنس الدفتر جانباً وقالت بنبرة عملية: هل تريد ممّا
أن نعاملك بنظام الخدمة الخاصة ذات الأربع والعشرين ساعة؟

- وما هذه الخدمة؟

- الرسوم مضاعفة، لكننا نضع جميع موظفينا في حالة طوارئ
لحل القضية. يا سيد فينسينت، إذا كانت الفتاة على قيد الحياة
فسوف أخبرك بمكانها في مثل هذا الوقت من الغد.

- ماذا؟ هذا رائع.

- نحن لا نوظف إلاّ الخبراء فقط، كما أننا نضمن النتائج.

- لا بد أن لديكم أفضل مكاتب التحريات.

- آه، بالطبع. على فكرة، أنت لم تعطيني وصفاً للفتاة.

- شعرها رائع جداً، ذهبي داكن كشمس الأصيل... نعم،
كشمس الأصيل. أتعلمين أنني لم ألاحظ أموراً كغروب الشمس إلاّ
مؤخراً، ولم أهتم بالشعر أيضاً إلاّ مؤخراً. إن في الشعر أموراً أعمق
بكثير مما كنت أتخيل.

كتبت توبنس بلا اكتراث: شعر أحمر. وما هو طول هذه الفتاة؟

- آه! إنها طويلة القامة، كما أن عينيها رائعتان. أعتقد أنهما
زرقاوان غامقتان. كما أن في شخصيتها حزمًا وثباتًا يستوقفان المرء
أحياناً.

كتبت توبنس بعض الكلمات، ثم أغلقت دفتر الملاحظات

ونَهَضت قائلة: إذا جئت إلى هنا غداً في الساعة الثانية فسوف تكون عندنا بعض الأخبار لك. إلى اللقاء يا سيد سينت فينسينت.



عندما عاد تومي كانت توبنس تراجع كتاب الأنساب البريطانية. قالت بإيجاز: لقد حصلت على كل التفصيلات. إن لورانس سينت فينسينت هو ابن أخ إيرل شيريتون ووريثه، وإذا ما نجحنا في هذه القضية فسوف نحصل على دعاية كبيرة في أعلى المستويات.

قرأ تومي الملاحظات الموجودة في الدفتر وقال: ماذا حصل حقاً لتلك الفتاة برأيك؟

- لعلها هربت استجابة لدواعي قلبها وهي تشعر أنها تحب هذا الشاب حباً لن ترى معه راحة بال.

نظر تومي إليها بارتياح وقال: أعرف أن هذا يحدث في الروايات، لكنني لم أعرف فتاة واحدة فعلت ذلك في الحقيقة.

- حقاً؟ حسناً، ربما كنت على صواب. ولكن أحسب أن لورانس سينت فينسينت سوف يصدق هذا الهراء. إنه يعيش الآن في بحر من الأفكار الرومسية. وعلى فكرة، لقد ضمنت النتائج خلال أربع وعشرين ساعة... «خدماتنا الخاصة».

- توبنس... أيتها الغبية بالفطرة! ما الذي جعلك تفعلين ذلك؟

- خطرت لي الفكرة هكذا، أحسست أنها تبدو جيدة. لا

تقلق، اترك هذا الأمر لي فأنا أفضل من يتولاه.

ثم خرجت تاركة تومي في حالة استياء شديد، فنهض على الفور وتنهّد وخرج ليفعل ما يمكن فعله لاعناً خيال توبنس المتّقد.

عندما عاد مرهقاً بئساً في الساعة الرابعة والنصف وجد توبنس تُخرج علبة حلوى من مكانها المخفي في إحدى الملفات. قالت: تبدو غاضباً وقلقاً، ماذا كنت تفعل؟

قال تومي متأففاً: قمت بجولة على المستشفيات لأسأل عن الفتاة صاحبة هذه الأوصاف.

- ألم أقل لك بأن تترك الأمر لي؟

- لن تستطيعي العثور على الفتاة بمفردك قبل الثانية من ظهر الغد.

- بل أستطيع... وأكثر من ذلك: لقد عثرت عليها بالفعل.

- عثرت عليها؟! ماذا تقصدين؟

- إنها مشكلة بسيطة، بسيطة فعلاً.

- وأين هي الآن؟

أشارت توبنس بيدها إلى الوراء وقالت: إنها في مكثبي هذا.

- وماذا تفعل هناك؟

بدأت توبنس بالضحك وقالت: التدريب المبكر يعطي ثماره، ومع إبريق شاي وسخان غاز وبعض الشاي أمام عينيها تصبح النتيجة

تحصيل حاصل.

ثم أكملت بهدوء: كما تعرف فإن محل مدام فيوليت هو الذي أشتري منه قبعاتي، وبالأمس صادفتُ صديقة قديمة لي من أيام المستشفى تعمل في هذا المحل. كانت قد تركت التمريض بعد الحرب وفتحت محل قبعات، لكنها فشلت فجاءت تعمل في محل مدام فيوليت. لقد اتفقنا على هذا العمل كله بيننا؛ كان عليها أن تحفر إعلاننا في عقل الشاب سينت فينسينت حفراً ثم تختفي... كفاءة رائعة لمكتب بلانت للتحريات. فيه دعاية لنا، كما أنه محفّز ضروري للشاب سينت فينسينت لحمله على طلب يدها للزواج، فقد كانت جانيت مستميتة للوصول إلى ذلك.

قال تومي: توبنس... لقد صدمتني! إن هذا الأمر كله غير أخلاقي ولم أسمع بمثله من قبل. إنك تساعدين هذا الشاب وتحرضينه على الزواج بفتاة من غير طبقته.

- هذا هراء. إن جانيت فتاة رائعة، والغريب أنها تحب ذلك الشاب المتردد حباً جنونياً. يمكنك أن تعرف بسرعة ما تحتاجه عائلته، إنها تحتاج إلى دماء جديدة فيها. إن جانيت ستكون عامل تقدمه ونجاحه؛ سوف تعتني به كأم له، ستريحه من الحفلات والأندية الليلية وتجعله يعيش حياة صحية جيدة... تعال لトラها.

فتحت توبنس باب المكتب المجاور وتبعها تومي. وضعت فتاة طويلة ذات شعر خروبي جميل ووجه عذب إبريق الشاي الذي يغلي في يدها والتفتت إلى الداخلين إليها بابتسامة جميلة قائلة: أرجو أن تعذريني يا توبنس؛ ظننت أنك ربما أردت فنجاناً من

الشاي. كثيراً ما كنت تعدّين لي الشاي في الثالثة صباحاً عندما كنّا في المستشفى معاً.

قالت توبنس: تومي، دعني أعرفك بصديقتي القديمة الممرضة سميث.

قال تومي وهو يضافحها: هل قلت إن اسمها سميث؟ يا له من أمر غريب! آه، لا شيء... مجرد دراسة صغيرة كنت أفكر في كتابتها.

قالت توبنس: تمالك نفسك يا تومي.

ثم صبت له فنجان شاي وقالت: والآن لنحتفل بنجاح وكالة التحريات الدولية، مكتب بلانت للتحريات! أتمنى أن لا يعرف هذا المكتبُ الفشل أبداً.

* * *

اَنخاشا كريسي

قصّة قصيرة
من بطولة
باركر باين

القصة مختارة من مجموعة
«تحيات باركر باين»

اُغَاثَا كُرِيسِي

تَحَرِّياتُ بَا زَكْرَ بَايْن

طُبعت للمرة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٣٤

ترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسّون

صورة الغلاف مُستوحاة من قصة «قضية ديلفي»



الأجْيَال
للترجمة
والنشر

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النص الكامل لمجموعة أغاثا كريستي القصصية
المنشورة أول مرة عام ١٩٣٤ بعنوان

Parker Pyne Investigates

Copyright Agatha Christie Mallowan 1934

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بآية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة

٢٠٢٠

قضية الجندي السِّم

تردد الميجر ويلبراهام خارج باب مكتب السيد باركر باين ليقرأ، كما قرأ مراراً من قبل، الإعلان الذي قرأه في صحيفة الصباح والذي أحضره إلى هنا. كان إعلاناً بسيطاً تماماً: "هل أنت سعيد؟ إن لم تكن سعيداً فاستشر السيد باركر باين، ١٧ شارع ريتشموند".

سحب الميجر نفساً عميقاً ودخل من الباب الدوار المؤدي إلى المكتب الخارجي، رفعت فتاة دميمة بصرها عن آلة الطباعة ونظرت إليه متسائلة.

قال الميجر ويلبراهام وقد احمرّ وجهه: مكتب السيد باركر باين؟
- تفضل من هنا رجاء.

تبعها إلى مكتب داخلي... إلى حضرة السيد الهادئ باركر باين، الذي بادره قائلاً: صباح الخير. هل لك أن تتفضل بالجلوس؟
والآن، قل لي ما الذي يمكنني أن أفعله من أجلك.

بدأ الرجل حديثه: اسمي هو ويلبراهام...

- ميجر؟ أم كولونيل؟

- بل ميجر .

- آه ! وقد عُدت مؤخراً من الخارج . الهند ؟ أم شرق أفريقيا ؟

- بل شرق أفريقيا .

- أظنه مكاناً رائعاً . حسناً ، فقد عدت إلى الوطن إذن ، وأنت غير مرتاح لذلك . أليست هذه هي المشكلة ؟

- أنت مُحقّق تماماً ، مع أنني لا أعرف كيف عرفت .

لوح السيد باركر باين بيدٍ مؤثرة وقال : إن عملي هو أن أعرف ، فلمدة خمسة وثلاثين عاماً من حياتي كنتُ أعمل في جمع الإحصائيات في مكتب حكومي . وقد تقاعدتُ الآن ، وخطر لي أن أستخدم الخبرة التي حصلتُ عليها بطريقة مبتكرة . والأمر كله بسيط جداً . أؤكد لك أن التعاسة يمكن تصنيفها تحت خمسة عناوين كبيرة ، لا أكثر ، وبمجرد أن تعرف سبب المرض لا يعود العلاج مستحيلاً .

إنني أقوم مقام الطبيب ، فالطبيب يشخص علة مريضه أولاً ، ثم يمضي ليصف طريقة علاج . وهناك حالات لا يكون فيها العلاج ذا فائدة ، وإذا كان الأمر كذلك فإنني أقول -بصراحة- إنني لا أستطيع فعل شيء ، أما إن توليتُ القضية فإن العلاج يكون مضموناً عملياً .

إن بوسعي أن أؤكد لك -يا ميجر ويلبراهام- أن ستة وتسعين بالمئة من بُناة الإمبراطورية (كما أسميهم) تُعساء . إنهم يتخلّون عن حياة نشيطة ، حياة مليئة بالمسؤولية ، حياة ذات أخطار مُحتملة ، يتخلّون عنها مقابل... ماذا؟ مقابل فقر ، وطقس سيء ، وشعور عام بأنهم كالسمكة خارج الماء .

قال الميجر: كل ما قلته صحيح. إن ما أشكو منه هو الملل، الملل والكلام التافه الذي لا ينتهي حول شؤون القرية. ولكن ما الذي أستطيع فعله إزاء ذلك؟ لديّ مبلغ صغير من المال بالإضافة إلى راتبي التقاعدي، ولديّ بيت صغير رائع قرب كوبهام، ولست متزوجاً. وجيراني جميعهم طيبون، ولكن ليست لديهم اهتمامات ذات شأن.

- خلاصة القول أنك تجد الحياة مملة.

- مملة جداً.

- وأنت ترغب بالمتعة، وربما بالخطر؟

رفع العسكري كتفيه بلا مبالاة وقال: لا وجود لشيء من هذا في هذا البلد التّمس.

قال السيد باركر باين بجديّة: اعذرني، ولكنك مخطئ في هذا، إذ يوجد الكثير من الخطر والكثير من التشويق هنا في لندن إن عرف المرء أين يطلبه. أنت لم ترَ إلاّ السطح من حياتنا الإنكليزية، السطح الهادئ الممتع. ولكن يوجد جانب آخر، وإن كنت ترغب فإن بوسعي أن أريك ذلك الجانب الآخر.

نظر إليه الميجر ويلبراهام متأملاً. كان في السيد باركر باين شيء يبعث على الاطمئنان. كان رجلاً ضخماً، ناهيك عن سمته، وكان ذا رأس أصلع ضخم ويضع نظارات سمكة فوق عينيه اللتين ترمشان باستمرار. وكان له جوّ يعطي انطباعاً بأنه ممن يُعتمد عليهم.

مضى السيد باركر باين قائلاً: غير أن عليّ أن أحذرك من أن في الأمر عنصر مجازفة.

التمعت عينا العسكري وقال: "لا بأس بذلك". ثم قال فجأة:
وأتعابك؟

- أتعابي هي خمسون جنيهاً تُدفع مقدماً. وخلال شهر، إذا ما
بقيت في نفس الحالة من الملل سأعيد إليك المبلغ.

فكر ويلبراهام قليلاً ثم قال أخيراً: عرض مُنصف... موافق.
سأعطيك شيكاً الآن.

وهكذا أبرمت الصفقة، وضغط السيد باركر باين على جرس
على طاولته وقال: الساعة الآن الواحدة، وسأطلب منك أن تأخذ
شابة لتناول الغداء.

فُتح الباب فقال السيد باركر باين: آه، عزيزتي مادلين! دعيني
أُعرّفك على الميجر ويلبراهام الذي سيصحبك إلى الغداء.

قال الميجر: يسرني ذلك.

قال السيد باركر باين: الآنسة دي سارا.

تمت مادلين دي سارا: هذا لطف بالغ منك.

قال السيد باركر باين مخاطباً الميجر: لديّ عنوانك هنا،
وستستلم غداً صباحاً تعليمات إضافية مني.

* * *

كانت الساعة الثالثة عندما عادت مادلين. رفع السيد باركر باين
بصره وسأل: حسناً، ماذا جرى؟

هزت مادلين رأسها وقالت: لقد خاف مني، فقد ظن أنني أستهدف استغلاله.

- هذا ما توقعته. هل نفذت تعليماتي؟

- نعم؛ لقد أخذنا راحتنا في التعليق على مَنْ كان حولنا في المطعم. إن النوع الذي يحبه هو الشقراء ذات العينين الزرقاوين، مع شيء من الشحوب، دون أن تكون بالغة الطول.

- يُفترض أن يكون هذا سهلاً. أعطيني الخطة «ب» لأرى ما لدينا من خيارات في الوقت الراهن.

ومرّر إصبعه نزولاً على إحدى القوائم حتى أوقفها أخيراً على اسم وقال: "فريدا كليغ. نعم، أظن أن فريدا ستقوم بالمهمة بشكل رائع". ثم أضاف قائلاً بشيء من التأمل: يُستحسن أن أرى السيدة أوليفر بخصوص الأمر.

* * *

في اليوم التالي تلقى الميجر ويلبراهام رسالة جاء فيها:

في الساعة التاسعة من يوم الإثنين القادم اذهب إلى المنزل رقم ٨٩، شارع فرايرز لين، هامبستد، واسأل عن السيد جونز. وسوف تقدم نفسك باعتبارك قادماً من شركة غوفا للشحن.

* * *

انطلق الميجر يوم الإثنين الذي تلا ذلك (وكان يوم عطلة) قاصداً ذلك العنوان في هامبستد. وأقول إنه انطلق، ولكنه لم يصل إلى هناك أبداً، إذ حدث شيء قبل أن يصل إلى هناك.

بدا أن العالم كله كان في طريقه إلى هامبستد ، وقد علق الميجر ويلبراهام ضمن حشود ، وكاد الازدحام في قطار الأنفاق أن يخنقه ، ووجد صعوبة في العثور على المكان. كان فرايزر لين شارعاً مغلّقاً مهملاً تملؤه الجردان ، على جانبيه بيوت ابتعدت قليلاً عن الطريق إلى الخلف. كانت بيوتاً كبيرة شهدت فيما مضى أياماً أفضل من أيامها هذه ، إلا أنها باتت خربة الآن.

مشى ويلبراهام في الشارع يحدق النظر إلى لوحات الأرقام التي أوشكت أن تنمحي عن بوابات البيوت ، وفجأة سمع شيئاً جعله يتصلب بكل انتباه. كان الصوت أقرب إلى الغرغرة؛ صوت صيحة نصف مخنوقة. ثم سمع الصوت ثانية ، ولكنه في هذه المرة كاد يشبه كلمة «النجدة!»... وقد جاء الصوت من داخل البيت الذي كان يمر أمامه.

وبلا أي لحظة تردد دفع الميجر ويلبراهام بوابة البيت المُخلّعة وتسلك من دون صوت عبر الممشى المغطى بالأعشاب ، وهناك ، بين الشجيرات ، كانت فتاة تكافح وهي في قبضة عملاقين من الزنوج. كانت تبلي بلاء حسناً في مقاومتهما وتقاوم وتضرب بقدميها ، وكان أحد الزنوجين يكلم فمها بيده رغم محاولاتها المستميتة لتخليص رأسها.

وبما أن الرجلين كانا منصرفين إلى صراعهما مع الفتاة فإنهما لم ينتبها لتقدم ويلبراهام ، وكان أول انتباههما لذلك عندما وجه الميجر لكمة عنيفة لفكّ الرجل الممسك بفم الفتاة مما جعله يتراجع إلى الخلف. وقام الثاني ، وقد أخذته المفاجأة ، بترك الفتاة والالتفات ولكن ويلبراهام كان مستعداً له فعاجله بلكمة أخرى جعلته يتراجع

ويسقط ، ثم التفت الميجر إلى الرجل الآخر الذي كان يقترب منه.

ولكن الرجلين نالا نصيبهما. تدحرج الرجل الثاني وجلس ثم نهض واندفع باتجاه البوابة ، ولحق به صاحبه سريعاً. وانطلق الميجر خلفهما ، ثم غيّر رأيه والتفت إلى الفتاة التي كانت متكئة على شجرة وهي تلهث.

قالت لاهثة: آه، شكراً لك! كان ذلك فظيلاً.

رأى الميجر ويلبراهام للمرة الأولى الفتاة التي أنقذها بمحض المصادفة. كانت في نحو الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين من عمرها، شقراء زرقاء العينين، جميلة مع شيء من الشحوب في وجهها. شهقت قائلة: لو لم تأت!

قال الميجر مُهدّئاً: هيا، هيا، لا بأس الآن. ولكن أظن أن من الأفضل أن نخرج من هنا، فمن الممكن أن يعود هذان الرجلان.

ارتسمت على شفتي الفتاة ابتسامة خفيفة وقالت: لا أظنهما سيعودان... ليس بعدما لقياه منك. لقد كان ذلك رائعاً منك!

احمرّ وجه الميجر أمام حرارة نظرة الإعجاب في عينيها وقال بارتباك: لا يوجد ما يستحق ذلك. إنه أمر طبيعي تماماً... عندما تتم مضايقة سيدة. اسمعي، هل تستطيعين السير إذا اتكأت على ذراعي؟ أعرف أنها كانت صدمة شديدة عليك.

- إنني بخير الآن.

ومع ذلك فقد اتكأت على الذراع التي مُدّت لها. كانت ما تزال

مضطربة قليلاً، ونظرت خلفها إلى البيت وهما يخرجان من البوابة وقالت: لا يمكنني تخيل ذلك. من الواضح أن هذا البيت خالٍ. وافقها الميجر وهو ينظر إلى النوافذ المحطمة والبلى الذي لحق بالبيت: إنه خالٍ بالتأكيد.

قالت وهي تشير إلى اسم كاد ينمحي عند البوابة: ومع ذلك فهو منزل وايت فرايرز، وهو المكان الذي يُفترض أن آتي إليه. - لا تقلقي تجاه أي شيء الآن. بعد لحظات سيكون بوسعنا استئجار سيارة أجرة، وعندها سنذهب إلى مكان ما ونشرب فنجان قهوة.

وعند نهاية الزقاق خرجا إلى شارع أكثر حركة، ولحسن حظهما كانت سيارة أجرة قد أنزلت لتوها راكباً عند أحد البيوت. لَوَّح لها ويلبراهام، ثم أعطى السائق عنواناً وصعدا السيارة. قال لرفيقته: لا تحاولي الكلام، تمددي فقط. لقد تعرضتِ لتجربة فظيعة.

ابتسمت له بامتنان، فقال: بالمناسبة، اسمي ويلبراهام.

- اسمي كليغ... فريدا كليغ.

بعد عشر دقائق كانت فريدا كليغ تحتسي قهوة حارة وتنظر عبر الطاولة الصغيرة إلى منقذها بامتنان. قالت: يبدو الأمر أشبه بالحلم، بل بالحلم السيء.

ارتعدت ثم أضافت: وقبل فترة قصيرة فقط كنتُ أتوق إلى

حدوث شيء... أي شيء! آه، إنني لا أحب المغامرات.

- أخبريني كيف حدث ذلك.

- حسناً، حتى أخبرك بشكل جيد سيتعين عليّ أن أتحدث كثيراً عن نفسي.

قال الميجر وهو ينحني: وهو موضوع ممتاز.

- أنا يتيمة. مات والدي (وكان قبطاناً بحرياً) عندما كنت في الثامنة من عمري، وتوفيت أُمي قبل ثلاث سنوات. وأنا أعمل في المدينة... موظفة في شركة للغاز. في إحدى أمسيات الأسبوع الماضي وجدتُ رجلاً ينتظر ليراني عندما عدتُ إلى بيتي، وكان محامياً يُدعى السيد ريد من ملبورن.

وقد كان مؤدباً جداً وسألني عدة أسئلة عن عائلتي، وقد شرح قائلاً إنه عرف والدي قبل سنوات كثيرة، بل إنه قام بتنفيذ صفقة قانونية له. ثم أخبرني بسبب زيارته فقال: "آنسة كليغ، إن لديّ أسباباً تدعوني للاعتقاد بأنك قد تستفيدين من صفقة مالية اشترك فيها أبوك قبل وفاته بسنوات عديدة". وقد دُهِشْتُ كثيراً بالطبع، ولكنه مضى قائلاً: من غير المحتمل أن تكوني قد سمعتِ بهذه القضية أبداً، وأحسب أن جون كليغ لم يأخذ تلك الصفقة على محمل الجد أبداً، وقد تحققت على غير توقع. ولكنني أخشى أن تعتمد أية مطالبة تقدمينها على امتلاكك أوراقاً معينة. ويحتمل أن تكون هذه الأوراق جزءاً من تركة والدك، ومن الممكن -طبعاً- أن تكون قد أُلِفَتْ باعتبارها غير ذات قيمة. فهل احتفظتِ بأيّ من أوراق والدك؟

شرحْتُ له أن والدتي قد احتفظت بالعديد من أغراض والدي في صندوق قديم ، وأني قد بحثْتُ فيه على عجل ولكن لم أكتشف شيئاً ذا أهمية ، فقال لي وهو يبتسم: لا يكاد يكون من المرجح أن تدركي أهمية تلك الوثائق.

عندها قمْتُ فذهبتُ إلى الصندوق فأخرجت منه الأوراق القليلة التي يحتويها وجئتُ بها إليه. نظر إلى الأوراق ، ولكنه قال إنه من المستحيل أن يستطيع الجزم فوراً بما هو مرتبط منها بالقضية وما هو غير مرتبط ، وقال إنه سيأخذها معه وسيصل بي إن جدَّ شيء. وفي البريد المسائي ليوم السبت تلقيت منه رسالة يقترح فيها عليّ أن آتي إلى بيته لمناقشة القضية ، وقد أعطاني العنوان: منزل وايت فرايرز ، بشارع فرايرز لين ، في هامبستد. على أن أكون هناك في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم.

وقد تأخرتُ قليلاً في العثور على المكان ، ودخلتُ البوابة بسرعة واتجهتُ صوب البيت حيث قفز هذان الرجلان الفظيعان فجأة عليّ من بين الأغصان. ولم يتح لي من الوقت ما أصرخ معه ، ولكنني خلصتُ رأسي بصعوبة وصرخت ، فقام أحدهما بوضع يده على فمي. وخلصتُ رأسي ثانية وصرختُ طالبة النجدة ، ولحسن الحظ أنك سمعتني ، ولولاك...

ثم توقفت ، وكانت عيناها أفصح من أي كلام.

- إنني سعيد جداً لمصادفة وجودي في ذلك المكان بالضبط ،
وإنني لأتمنى أن أمسك بهذين الوحشين. هل رأيتهما من قبل؟

هزت رأسها بالنفي وقالت: ما معنى ذلك برأيك؟

- من الصعب الجزم، ولكن يبدو شيء واحد مؤكداً؛ يوجد شيء ما بين أوراق أبيك، وأحدهم يريد. لقد أخبرك هذا الرجل، ريد، بقصة ملفقة بحيث يحصل على فرصة تفتيش الوثائق. والواضح أن ما أراده لم يكن هناك.

- آه، عجباً! عندما عدتُ إلى البيت يوم السبت ظننتُ أن أحدهم قد عبث بأغراضي، والصراحة أنني شككتُ بأن صاحبة البيت فتشت غرفتي بدافع الفضول. ولكن الآن...

- ثقي بما أقوله، تلك هي المسألة. لقد استطاع أحدهم دخول غرفتك وقام بتفتيشها دون أن يجد مبتغاه، وقد شكَّ بأنك تعرفين قيمة تلك الورقة كائناً ما كانت وأنتك تحملينها معك دوماً، وهكذا خطط لهذا الكمين. فإن وُجدت معك أخذوها، وإن لم توجد احتفظوا بك سجيناً حتى تخبريهم بمكانها.

صاحت فريداً: ولكن ما عساها تكون؟

- لا أدري، ولكنها ثمينة جداً بالنسبة له دون شك، حتى يبلغ به الأمر القيام بكل ذلك.

- لا يبدو هذا ممكناً.

- آه، لا أدري. لقد كان والدك بحاراً، وقد سافر إلى أماكن بعيدة نائية، ربما عثر على شيء لم يدرك قيمته أبداً.

ظهرت حمرة الانفعال على وجنتي الفتاة وقالت: أظن ذلك حقاً؟

- نعم، بالتأكيد. المسألة هي: «ما الذي سنفعله الآن؟»...
لا أحسبك تريدن اللجوء للشرطة؟

- آه، لا أريد ذلك رجاء.

- يسعدني أن تقولي ذلك، فأنا لا أرى ما يمكن أن يفعله الشرطة، ولن يسبب لك ذلك إلا المضايقة. أقترح الآن أن تسمح لي بأن أدعوك إلى الغداء، ثم أرافقك إلى بيتك لأضمن وصولك بأمان إلى هناك. وبعدها يمكننا أن نبحث عن الورقة، لأنها ينبغي أن تكون موجودة في مكان ما.

- ربما يكون والدي نفسه قد أ تلفها.

- هذا ممكن بالطبع، ولكن الطرف الآخر لا يبدو مقتنعاً بذلك، وهذا يحمل لنا بعض الأمل.

- ماذا تظنها تكون؟ كنزاً مدفوناً؟

هتف الميجر وقد استيقظت فيه مشاعر المغامرة لهذا الاقتراح:
قد تكون كذلك! ولكن هيا الآن إلى الغداء يا آنسة كليغ.

تناولا وجبة رائعة معاً، وروى الميجر لها كل شيء عن حياته في شرق أفريقيا واصفاً لها صيد الفيلة، بحيث أثار متعتها. وعندما فرغا من طعامهما أصرّ على أخذها إلى البيت بسيارة أجرة.

كان منزل الفتاة قرب نوتينغ هيل غيت، ولدى وصولهما إلى هناك أجرت فريدا حديثاً قصيراً مع صاحبة البيت، ثم عادت إلى الميجر ويلبراهام وأخذته إلى الطابق الثاني حيث كانت لها غرفة نوم

وغرفة جلوس صغيرتان. قالت: إن الأمر كما ظنناه تماماً؛ لقد جاء رجلٌ صباح يوم السبت ليشرف على تمديد سلك كهربائي جديد وأخبرها بوجود خطأ في تمديدات الأسلاك في غرفتي، وقد بقي هناك لفترة لا بأس بها.

قال ويلبراهام: أريني صندوق والدك.

أرته فريدا صندوقاً مرصعاً بالنحاس، وقالت وهي ترفع غطاءه: هل ترى؟ إنه فارغ.

أوماً العسكري برأسه متأملاً وقال: ألا توجد أوراق في أي مكان آخر؟

- لا أظن؛ لقد احتفظت أُمي بكل شيء هنا.

تفحص الميجر داخل الصندوق، وفجأة أطلق صيحة انفعال وهو يقول: "ههنا فتحة في البطانة". ثم أدخل يده بحذر وتلمس داخل الفتحة، وما لبث أن قال: لقد دُسَّ شيء هنا.

وسرعان ما أخرج لُقيته، وكانت ورقة قذرة تم طيها عدة مرات. مسدها على الطاولة وفريدا تنظر من ورائه، ثم هتفت بخيبة أمل: إنها مجرد علامات غريبة.

صاح الميجر ويلبراهام: عجباً، إنها مكتوبة باللغة السواحلية. بالسواحلية، من بين كل لغات الأرض؟! إنها لهجة سكان شرق أفريقيا.

- ما أغرب ذلك! هل تستطيع قراءتها إذن؟

قال: إلى حدّ ما. يا له من أمر مدهش!

ثم أخذ الورقة إلى قرب النافذة، فسألته فريدا بصوت مرتعش:
هل تعني شيئاً؟

قرأ الميجر الورقة بتمعن، ثم عاد إلى الفتاة وقال متبسماً:
حسناً، هذا هو كنزك المخبوء بالتأكد.

- كنز مخبوء؟ حقيقة؟ أعني أنه ذهب إسباني... سفينة ذهب
غارقة... شيء كهذا؟

- ربما لا يكون الأمر على هذا القدر من الرومنسيّة، ولكنه
نفس الشيء في النهاية. إن هذه الورقة تبين مخبأ كنز من العاج.

قالت الفتاة بدهشة: العاج؟

- نعم، من الفيلة كما تعلمين. يوجد قانون يحدد العدد الذي
يمكنك اصطياده منها، وقد نجح صياد ما في اصطياد أعداد كبيرة
والنجاة بفعلته. وحين تعقبوه دفن ما لديه من عاج... كمية هائلة منه.
وهذه الورقة تعطي فكرة واضحة تماماً عن كيفية العثور على المكان.
اسمعي، سيكون علينا أن نتبع هذا الأمر، أنا وأنت.

- أعني أنه يوجد -حقاً- مال كثير في هذا الأمر؟

- توجد ثروة لا بأس بها لك.

- ولكن كيف جاءت هذه الورقة لتصبح بين أوراق أبي؟

رفع الميجر كتفيه حيرة وقال: ربما كان ذلك الصياد يحتضر

مثلاً... وربما كان قد كتب هذه الورقة باللغة السواحلية من باب الحماية وأعطائها لوالدك الذي ربما كان قد صادقه بشكل ما، وبما أن والدك لم يكن بوسعه قراءتها فإنه لم يُعَلِّق عليها أهمية كبيرة. هذا مجرد تخمين مني، ولكن لا أظنه تخميناً مُستبعداً جداً.

تنهدت فريدا وقالت: يا له من أمر مثير جداً!

- السؤال الآن: ما الذي نفعله بالوثيقة الثمينة. لا أحب تركها هنا، فربما عادوا ليعثوا من جديد. لا أحسبك تأتمنيني عليها؟

- بل أفعل بالطبع، ولكن ألا يمكن أن يكون ذلك خطيراً عليك؟

قال الميجر متجهماً: "إنني شديد المراس، لا حاجة لأن تقلقي علي". ثم طوى الورقة ووضعها في محفظته وقال: هل أستطيع القدوم لرؤيتك مساء غد؟ سأكون قد وضعتُ عندها خطة، وسأدقق في الأماكن على خريطتي. في أية ساعة تعودين من المدينة؟

- أعود في نحو السادسة والنصف.

- عظيم. وسوف نتناقش عندها في الأمر، وربما سمحت لي باصطحابك إلى العشاء. علينا أن نحتفل بهذا الأمر. وداعاً إذن، غداً في السادسة والنصف.

* * *

في اليوم التالي وصل الميجر في الوقت المحدد تماماً. رنّ جرس البيت وسأل عن الأنسة كليغ. وقد فتحت له الباب خادمة

وقالت: الأنسة كليغ؟ إنها ليست هنا.

لم يشأ الميجر ويلبراهام أن يقترح الدخول لانتظارها، بل قال:
سأعود بعد قليل.

تجول في الشارع المقابل متوقعاً - في كل لحظة - أن تتقدم منه
فريدا. ومرت الدقائق؛ السابعة إلا ربعاً، السابعة، السابعة والرابع،
ولم تأت فريدا. اجتاحه شعور بعدم الارتياح، فعاد إلى البيت وقرع
الجرس ثانية.

- اسمعي. لديّ موعد مع الأنسة كليغ في السادسة والنصف.
أأنت واثقة أنها ليست في الداخل، أو أنها لم... لم تترك ملاحظة؟

سألت الخادمة: أأنت الميجر ويلبراهام؟

- نعم.

- معي رسالة لك. لقد جاءت باليد.

أخذ الرسالة وقرأها:

عزيزي الميجر ويلبراهام،

لقد حدث شيء غريب بعض الشيء. لن أكتب
المزيد الآن، ولكن هل لك أن تقابلني في منزل
وايت فرايرز؟ اذهب إلى هناك بمجرد حصولك
على هذه الرسالة.

المخلصة: فريدا كليغ

قطب الميجر ويلبراهام جبينه وهو يفكر بسرعة، ثم امتدت

يده بشرود فأخرجت رسالة من جيبه وقال للخادمة: هل يمكنك الحصول لي على طابع؟

- أحسب أن السيدة باركنز قد تفيدك في ذلك.

ثم عادت بعد دقيقة ومعها طابع دفع الميجر ثمنه شلناً. وبعد دقيقة أخرى كان الميجر يمشي باتجاه محطة قطار الأنفاق حيث وضع الرسالة في صندوق بريدي لدى مروره.

أشعرته رسالة فريدا بعدم ارتياح شديد. ما الذي يمكن أن يأخذ الفتاة بمفردها إلى مسرح المواجهة المخيفة التي جرت بالأمس؟ هز رأسه حيرة. يا له من تصرف أحمق! هل ظهر ريد؟ هل نجح بشكل أو بآخر في جعل الفتاة تثق به؟ ما الذي أخذها إلى هامبستد؟

نظر إلى ساعته فوجدها تقارب السابعة والنصف. من شأنها أن تكون قد اعتمدت على انطلاقه إليها في السادسة والنصف. أي أن هناك ساعة كاملة من التأخير، وهي فترة طويلة. لو كان لديها من الحكمة ما يجعلها تعطيه لمحة عن الأمر!

حيرته الرسالة، وشعر -على نحو ما- بأن نبرة الاستقلالية فيها لم تكن من صفات فريدا كليغ.

كانت الساعة قد بلغت الثامنة إلا عشر دقائق عندما وصل إلى فرايرز لين، وكان الظلام قد بدأ يخيم. نظر بحدة حوله، فلم يجد أحداً. دفع البوابة المُخلَّعة بهدوء بحيث انفتحت دون صوت. كان الممر خالياً، والبيت مظلماً. مشى في الممر بحذر وهو ينظر إلى جانبيه، إذ لم يكن ينوي أن يؤخذ على حين غرة.

وفجأة توقف ، فللحظة قصيرة فقط ظهرت التماعة ضوء من خلال إحدى النوافذ. فالبيت لم يكن فارغاً إذن! كان أحدهم في الداخل.

تسلل الميجر ويلبراهام بهدوء بين الأغصان وشق طريقه إلى مؤخرة المنزل ، وفي النهاية عثر على ما كان يبحث عنه. كانت إحدى نوافذ الطابق الأرضي غير مقفلة ، وكانت نافذة تبدو وكأنها غرفة الأواني الملحقة بالمطبخ. فتح النافذة وأضاء مصباحاً كهربائياً يدوياً (كان قد اشتراه من محل عند قدومه) وسلط الضوء على داخل الغرفة المهجورة ، ثم تسلق فدخلها.

فتح باب الغرفة بكل حذر وأصغى ، فلم يسمع شيئاً ، وأضاء المصباح ثانية فوجده مطبخاً فارغاً. وخارج المطبخ كانت هناك بضع درجات ، وباب بدا واضحاً أنه يؤدي إلى القسم الأمامي من المنزل.

فتح الباب وأصغى ، فلم يسمع شيئاً. مشى بهدوء حتى أصبح الآن في الصالة الأمامية ، ولم يكن هناك أيضاً أي صوت. كان هناك بابان أحدهما إلى يمينه والآخر إلى شماله. وقد اختار الباب الأيمن فأصغى عنده للحظة ثم أدار قبضته فانفتحت ، فقام بفتح الباب ببطء شديد ثم دخل.

وأضاء المصباح ثانية فوجد الغرفة فارغة لا أثاث فيها... وفي تلك اللحظة بالذات سمع صوتاً خلفه فالتفت... ولكن الوقت كان متأخراً. نزل شيء ما على رأسه فسقط على الأرض مغشياً عليه.

لم يعرف الميجر ويلبراهام كم مرّ عليه من الوقت قبل أن

يستعيد وعيه، ولكنه عاد إلى الحياة متألماً موجوع الرأس. وحاول التحرك ولكنه وجد ذلك مستحيلاً، فقد كان مربوطاً بالحبال.

وفجأة عاد له رشده وتذكر أنه قد ضُرب على رأسه. وأظهر له ضوء خافت ينبعث من مصباح زيتي في أعلى الجدار أنه كان في قبو صغير. نظر حوله فقفز قلبه، فعلى بعد خطوتين منه كانت فريدا مربوطة مثله، مغمضة العينين، ولكنها تنهدت وهو ينظر إليها بلهفة وفتحت عينيها. وقعت نظرتها المذعورة عليه فقفزت إلى عينيها نظرة فرح وتعرف، وقالت: أنت أيضاً! ما الذي حدث؟

- لقد خذلتك أيما خذلان. سعيْتُ مباشرة حتى وقعتُ في الفخ. أخبريني، هل تركت لي ملاحظة تطلبين فيها أن ألتقيك هنا؟
انفتحت عينا الفتاة دهشة وقالت: أنا؟ أنت من أرسل لي ملاحظة!

- آه، هكذا إذن؟

- نعم؛ تلقيتها في المكتب، وقد طلبت مني لقاءك هنا بدل بيتي.

دمدم قائلاً: اتبعت نفس الطريقة معنا نحن الاثنين.

ثم شرح لها الموقف، فقالت: فهمت، فقد كانت الفكرة إذن...

- الحصول على الورقة... لا بد أننا كنا مُلاحقين بالأمس، وهكذا نالوا مني.

- وهل ... حصلوا عليها؟

قال العسكري وهو ينظر بحزن إلى يديه المقيدتين: لا أستطيع مد يدي للتأكد من ذلك مع الأسف.

بعد ذلك جفل الاثنان، فقد تكلم صوت، صوت بدا أنه قادم من الفراغ. قال الصوت: نعم، شكراً لكما. لقد حصلتُ عليها، بكل تأكيد.

جعلهما الصوت الخفي يرتعدان، وتمتمت فريدا: السيد ريد.

قال الصوت: ريد هو واحد من أسمائي يا فتاتي العزيزة... ولكنه واحد منها فقط، فلدي من الأسماء الكثير. والآن يؤسفني القول إنكما قد تدخلتما في خططي... وهو أمر لا أسمح به أبداً. إن اكتشافكما هذا البيت قضية خطيرة. إنكما لم تُخبرا الشرطة عن ذلك، ولكنكما قد تفعلان ذلك في المستقبل. أخشى أن لا أستطيع الثقة بكما في هذه المسألة. ربما وعدتما بالتزام الصمت، ولكن الوعود نادراً ما تُحترم. وهذا البيت مفيد جداً بالنسبة لي. بوسعكما تسميته «بيت التصفية»... البيت الذي لا عودة منه. فمن هنا تنتقلان إلى... عالم آخر. ويؤسفني القول إنكما ستنتقلان إلى ذلك العالم، وهو أمر مؤسف... ولكنه ضروري.

سكت الصوت لحظة ثم تابع يقول: لا إراقة دماء، فأنا أمقت إراقة الدماء. طريقتي أبسط بكثير، وهي حقاً ليست مؤلمة جداً كما فهمت. حسناً، ينبغي أن أذهب. طاب مساؤكما.

صاح ويلبراهام: اسمعني! افعل بي ما تشاء، ولكن هذه الفتاة

لم تفعل شيئاً... أبداً. لا يمكن أن يؤذيك إطلاق سراحها.

ولكن لم يكن ثمة جواب. وفي تلك اللحظة انطلقت صرخة من فريدا: الماء... الماء!

التفت ويلبراهام متألماً ونظر إلى حيث تنظر فريدا، فرأى فتحة عند السقف ينصبّ منها الماء بلا انقطاع.

صاحت فريدا بجنون: إنهم سيغرقوننا!

تبلى جبين ويلبراهام بالعرق وقال: لم ينتهِ أمرنا بعد؛ سنصرخ طلباً للنجدة. لا بد أن يسمعنا أحد. هيا، لنصرخ معاً.

صرخا بكل ما أوتيا من قوة، ولم يسكتا حتى بُحَّ صوتاهما. قال الميجر بحزن: أخشى أنه لا فائدة، فنحن تحت الأرض، وأظن أن الأبواب محكمة الإغلاق، ولو كان بالإمكان سماعنا لكم ذلك الوحش أفواهنا دون ريب.

صاحت فريدا: والغلطة غلطتي، فأنا التي ورطتك في هذا الأمر.

- لا تقلقي بشأن ذلك يا طفلي. إنك أنت ما أفكر به الآن. لقد وقعتُ في مآزق كثيرة من قبل وخرجتُ منها... لا تفقدي شجاعتك؛ سأخرجك من هذه الورطة... لدينا الكثير من الوقت، فحسب معدل دخول هذه المياه ستمر ساعات قبل حدوث أي مكروه.

- كم أنت رائع! أنا لم أقابل مثلك أبداً... إلّا في الروايات.

- هراء... إنه المنطق فقط. والآن، عليّ أن أفك هذه الحبال.

وبعد نحو ربع ساعة وكثير من الجهد شعر ويلبراهام بأن قيوده تحللت إلى حدٍّ معقول، ثم تمكن من إحناء رأسه ورفع رسغيه ليهاجم عُقدَ الجبل بأسنانه، وبمجرد أن أصبحت يداه طليقتين أصبح ما تبقى مسألة وقت فقط. كان جسمه قد تشنج وتصلب، ولكنه تحرر من الحبال وانكبَّ على الفتاة، وبعد لحظة كانت قد تحررت هي الأخرى.

لم يكن الماء قد بلغ إلا كاحليهما حتى الآن. قال العسكري: والآن، إلى الخروج من هنا.

كان باب القبو في أعلى درج صغير، فتفحصه الميجر وقال: لا توجد صعوبة هنا، فهو باب أخرق الصنع ولن يلبث أن ينخلع من مفاصله.

وضع عليه كتفه وأخذ يدفع. طقطق الخشب، ثم سُمع صوت ارتطام، وانخلع الباب من مفاصله.

كان في الخارج درجٌ في أعلاه باب آخر... باب مختلف تماماً، من الخشب القوي وقضبان الحديد.

قال الميجر ويلبراهام: هذا أصعب قليلاً... ولكن مرحى، لدينا شيء من الحظ هنا؛ إنه غير مقفل.

فتحه ونظر إلى الخارج، ثم أشار للفتاة أن تتبعه. خرج الاثنان إلى ممر خلف المطبخ، وبعد لحظات كانا يقفان تحت النجوم في فرايرز لين.

قالت فريدا وهي تنشج قليلاً: آه! كم كان ذلك رهيباً!

طوقها بذراعيه وقال: يا حبيبتى المسكينة! لقد كنتِ شجاعة
بشكل رائع. فريدا... هل لك... أعني هل يمكنك... إنني أحبك
يا فريدا. هل تتزوجيني؟

وبعد فترة صمت مناسبة ومُرضية كثيراً لكلا الطرفين قال
الميجر ويلبراهام ضاحكاً: وفوق ذلك فلا يزال أمامنا سر العاج.

- ولكنهم أخذوا الورقة منك!

ضحك الميجر ثانية وقال: هذا ما لم يفعلوه أبداً! فقد كتبتُ
نسخة زائفة من الرسالة، وقبل أن آتي إليك هنا هذه الليلة وضعتُ
الرسالة الحقيقية في رسالة ووضعتها في صندوق البريد. لقد حصلوا
على النسخة الزائفة... وأتمنى لهم كل سعادة بها! أتعلمين ماذا
سنفعل يا حبيبتى؟ سنذهب إلى شرق أفريقيا لقضاء شهر غسلنا
وللبحث عن الكنز.

* * *

غادر السيد باركر باين مكتبه وصعد درجاً، وفي غرفة في أعلى
المبنى جلست السيدة أوليفر، كاتبة الروايات المثيرة التي أصبحت
الآن واحدة من موظفي السيد باركر باين.

قرع السيد باركر باين الباب ودخل. كانت السيدة أوليفر تجلس
على طاولة عليها آلة طباعة، وعدة دفاتر ملاحظات، وفوضى شديدة
من المخطوطات، وسلة كبيرة من التفاح.

قال لها السيد باركر باين بمودة: كانت قصة جيدة جداً يا سيدة
أوليفر.

- هل نجحت؟ هذا يسعدني.

- ولكن تلك المسألة الخاصة بصب مياه في القبو، ألا ترين ضرورة للتفكير بشيء أكثر إبداعاً في المستقبل؟

طرح اقتراحه ذاك بشيء من الخجل المطلوب، فهزت السيدة أوليفر رأسها بالنفي وقالت وهي تأخذ تفاحة من السلة: لا أظن ذلك يا سيد باين، فقد تعود الناس قراءة مثل هذه الأمور: أقبية يُصَحَّ فيها الماء، تسريب غاز مسموم... إلى آخر ذلك. إن معرفة هذه الأمور مسبقاً تجعلها ذات متعة أكبر عندما تحدث للمرء. إن الجمهور محافظ يا سيد باين، وهو يحب الحيل القديمة نفسها.

- حسناً، أنت تعرفين أفضل مني.

اعترف السيد باركر باين بهذا وهو يفكر بست وأربعين رواية ناجحة للسيدة أوليفر حققت كلها أعلى المبيعات في إنكلترا وأمريكا وترجمت إلى الفرنسية والألمانية والإيطالية والهنغارية والفنلندية واليابانية والحبشية.

قال لها: ماذا عن التكاليف؟

- سحبت السيدة أوليفر ورقة وقالت: تكاليف زهيدة عموماً. لقد طلب الزنجان، بيرسي وجيري، مبلغاً بسيطاً جداً. وقد وافق الممثل الشاب لوريمر على أداء دور السيد ريد مقابل خمسة جنيهات، أما خطبة القبو فقد كانت تسجيلًا بالطبع.

- لقد أفادني منزل وايت فرايرز أيما فائدة، فقد اشتريته بثمن بخس جداً، وقد كان حتى الآن مسرحاً لإحدى عشرة مسرحية مثيرة.

- آه، لقد نسيت! أجور جوني... خمسة شلنات.

- جوني؟

- نعم، الصبي الذي صب الماء من أباريق السقاية من خلال فتحة الجدار.

- آه، نعم. وبالمناسبة يا سيدة أوليفر، كيف حدث أنك تعرفين اللغة السواحلية؟

- أنا لا أعرفها.

- فهمت. استعنتِ إذن بالمتحف البريطاني؟

- لا، بل بمكتب ديلفريدج للمعلومات.

تمتم قائلاً: ما أروع مصادر التجارة الحديثة!

قالت السيدة أوليفر: الأمر الوحيد الذي يقلقني هو أن الاثنين لن يجدا أي كنز عندما يصلان هناك.

- ولكن المرء لا يستطيع الحصول على كل شيء في هذا العالم. سيقضيان شهر عسل مثيراً على أي حال.

* * *

كانت السيدة ويلبراهام تجلس على كرسي، وكان زوجها يكتب رسالة. سألها: ما هو تاريخ اليوم يا فريدا؟

- السادس عشر.

- السادس عشر؟ يا إلهي!

- ما الأمر يا عزيزي؟

- لا شيء. تذكرت فقط رجلاً يُدعى جونز.

مهما كانت سعادة الزواج فإن هناك أموراً لا يبوح بها المرء.
فكر الميجر ويلبراهام قائلاً لنفسه: تبا! كان ينبغي أن أزور ذلك
المكتب وأستردّ مالي.

وبعد ذلك، ولأنه ذو عقل مُنصف، نظر إلى المسألة من زاوية
أخرى وقال لنفسه: ولكنني أنا من نقض الاتفاق، إذ أحسب أنني
لو ذهبتُ لرؤية جونز لكان قد حدث شيء ما. وعلى أي حال فإنني
لو لم أذهب لرؤية جونز لما قُدّر لي أبداً أن أسمع استغاثة فريدا،
وربما ما كنا للنتقي أبداً. ولذلك فربما كان لهم الحق، بشكل غير
مباشر، في جنيهاتي الخمسين!

السيدة ويلبراهام كانت تتابع هي الأخرى سلسلة أفكارها
الخاصة: كم كنتُ حمقاء غبية حين صدّقتُ ذلك الإعلان ودفعت
ثلاثة جنيهاً لأولئك الناس. إنهم لم يفعلوا شيئاً يبرر ذلك المبلغ
بالطبع، ولم يحدث شيء أبداً. لو أنني عرفتُ فقط ما كان ينتظرني!
السيد ريد أولاً، ثم هذه الطريقة الرومانسية الغريبة التي دخل تشارلي
بها حياتي... والأنكى أن أفكر بأنني لولا المصادفة المحضة لما كان
لي أن ألتقيه أبداً!

التفتت وابتسمت لزوجها بحب.

* * *

روايات أغاثا كريستي حسب ترتيب الصدور

العناوين العربية في هذه القائمة هي الروايات التي نشرناها في «الأجيال» والعناوين الأجنبية للروايات التي لم ننشرها بعد.

- (١) القضية الغامضة في ستايلز (١٩٢٠)
- (٢) The Secret Adversary (١٩٢٢)
- (٣) جريمة في ملعب الغولف (١٩٢٣)
- (٤) Poirot Investigates (١٩٢٤)
- (٥) ذو البدلة البنية (١٩٢٤)
- (٦) The Secret of Chimneys (١٩٢٥)
- (٧) مقتل روجر أكرويد (١٩٢٦)
- (٨) الأربعة الكبار (١٩٢٧)
- (٩) The Mystery of the Blue Train (١٩٢٨)
- (١٠) The Seven Dials Mystery (١٩٢٩)
- (١١) شركاء في الجريمة (١٩٢٩)
- (١٢) The Mysterious Mr Quin (١٩٣٠)
- (١٣) جريمة في القرية (١٩٣٠)
- (١٤) لغز سيتافورد (١٩٣١)
- (١٥) خطر في البيت الأخير (١٩٣٢)

- (١٦) ثلاثة عشر لغزاً (١٩٣٢)
- (١٧) موت اللورد إدجوير (١٩٣٣)
- (١٨) كلب الموت (١٩٣٣)
- (١٩) جريمة في قطار الشرق (١٩٣٤)
- (٢٠) The Listerdale Mystery (١٩٣٤)
- (٢١) لماذا لم يسألوا إيفانز؟ (١٩٣٤)
- (٢٢) تحريات باركر باين (١٩٣٤)
- (٢٣) مأساة من ثلاثة فصول (١٩٣٤)
- (٢٤) موت وسط الغيوم (١٩٣٥)
- (٢٥) الجرائم الأبجدية (١٩٣٦)
- (٢٦) Murder in Mesopotamia (١٩٣٦)
- (٢٧) أوراق على الطاولة (١٩٣٦)
- (٢٨) Murder in the Mews (١٩٣٧)
- (٢٩) Dumb Witness (١٩٣٧)
- (٣٠) موت فوق النيل (١٩٣٧)
- (٣١) Appointment with Death (١٩٣٨)
- (٣٢) جريمة عيد الميلاد (١٩٣٨)
- (٣٣) Murder is Easy (١٩٣٩)
- (٣٤) ثُمَّ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ (١٩٣٩)
- (٣٥) السَّرُّو الحزين (١٩٤٠)
- (٣٦) إيزيم الحذاء (١٩٤٠)
- (٣٧) Evil Under the Sun (١٩٤١)

- (١٩٤١) N or M? (٣٨)
- (١٩٤٢) جثة في المكتبة (٣٩)
- (١٩٤٢) Five Little Pigs (٤٠)
- (١٩٤٢) الإصبع المتحرك (٤١)
- (١٩٤٤) Towards Zero (٤٢)
- (١٩٤٤) في النهاية يأتي الموت (٤٣)
- (١٩٤٥) Sparkling Cyanide (٤٤)
- (١٩٤٦) The Hollow (٤٥)
- (١٩٤٧) The Labours of Hercules (٤٦)
- (١٩٤٨) ركوب التيارات (٤٧)
- (١٩٤٩) البيت الأعوج (٤٨)
- (١٩٥٠) A Murder Is Announced (٤٩)
- (١٩٥١) لقاء في بغداد (٥٠)
- (١٩٥٢) موت السيدة ماغنتي (٥١)
- (١٩٥٢) خداع المرايا (٥٢)
- (١٩٥٣) After the Funeral (٥٣)
- (١٩٥٣) جيبٌ مليء بالحبوب (٥٤)
- (١٩٥٤) Destination Unknown (٥٥)
- (١٩٥٥) Hickory Dickory Dock (٥٦)
- (١٩٥٦) مبنى الرجل الميت (٥٧)
- (١٩٥٧) قطار ٤,٥٠ من بادنغتون (٥٨)
- (١٩٥٨) محنة البريء (٥٩)

- (١٩٥٩) Cat Among the Pigeons (٦٠)
- (٦١) مغامرة كعكة العيد (١٩٦٠)
- (٦٢) الحصان الأشهب (١٩٦١)
- (٦٣) شرخ في المرأة (١٩٦٢)
- (٦٤) الساعات (١٩٦٣)
- (١٩٦٤) A Caribbean Mystery (٦٥)
- (٦٦) في فندق بيرترام (١٩٦٥)
- (٦٧) الفتاة الثالثة (١٩٦٦)
- (٦٨) ليل لا ينتهي (١٩٦٧)
- (١٩٦٨) By the Pricking of My Thumbs (٦٩)
- (١٩٦٩) Halloween Party (٧٠)
- (٧١) مسافر إلى فرانكفورت (١٩٧٠)
- (٧٢) انتقام العدالة (١٩٧١)
- (٧٣) ذاكرة الأفيال (١٩٧٢)
- (١٩٧٣) Postern of Fate (٧٤)
- (٧٥) قضايا بوارو المبكرة (١٩٧٤)
- (٧٦) الستارة (١٩٧٥)
- (٧٧) الجريمة النائمة (١٩٧٦)
- (٧٨) القضايا الأخيرة للآنسة ماربل (١٩٧٩)
- (١٩٩١) Problem at Pollensa Bay (٧٩)
- (١٩٩٧) While the Light Lasts (٨٠)